وزارة التّعليم
جامعة المرقب
كليّة علوم الشّريعة

المجلّة العلميّة لعلوم الشّريعة

مجلّة علميّة دوريّة محكّمة نصف سنويّة

رئيس التّحرير: أ. **عصام الصّدّيق يعقوب**

مدير التّحرير: أ. **حمزة امحمّد ارفيّدة**

سكرتير التّحرير: م. **طارق عليّ الحوّات**

العدد الثّالث

بشارة المسيح عليه السلام بنبي الإسلام محمد ﷺ في إنجيل بارنابا

د. عبد الحميد إبراهيم سلطان
كليّة الآداب الخمس / جامعة المرقب

المقدّمة:

يتناول هذا البحث الموسوم: **بشارة المسيح عليه السلام بنبي الإسلام محمد ﷺ في إنجيل**[1] **بَارْنَابَا** ويأتي في إطار ما يتعرّض له نبيُّنا ﷺ هذه الأيام من حملات تشويه واستهزاء، ورسومات ساخرة، وتكذيب بنبوّته على يد فئة من النّصارى الحاقدين المتعصّبين، الذين يرغبون في زيادة وثيرة الحقد والكراهية بين المسلمين والغرب المسيحي، ظنّاً منهم أنهم -بعملهم هذا- يَردُّون المقبلين على الإسلام عن الدخول فيه، ولم يعلموا أن اقتناع الناس بالإسلام واعتناقه يزداد يوما بعد يوم.

لقد تكرّرت الإساءة للنبي ﷺ بصور متعددة، ما يعني أنها تمثل موقفا عدائيا ممنهجا من الغرب ضد نبي الإسلام، رغم أن أكثر من يهاجمونه ﷺ ويسيئون إليه من علماء النصارى، الذين لا يجهلون مَنْ هو محمد ﷺ. فهم يعرفونه حق المعرفة، كما يعرفون أبناءهم، قال -تعالى- مخبرا عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 145]. فعلماء أهل الكتاب يعرفونه معرفة حقيقية، كما تدل عليه كتبهم، قال -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: 157]. وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 21].

ورغم ما يتعرض له النبي ﷺ من سب وتشويه، فإن المسلمين لا يسُبُّون رموز الأديان الأخرى ولا يشتمونهم؛ لنهي الإسلام عن ذلك، قال -تعالى-: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 109]. ما يعني أن هذه الظاهرة تحتاج لدراسة للوقوف على أسبابها، ومعالجتها من خلال بيان حقيقة بشارات كتبهم بالنبي محمد ﷺ، وبخاصة إنجيل بَارْنَابَا.

1- الإنجيل: اسمُ كِتابِ اللهِ المُنَزَّل على عِيسَى عليه السلام، والجمعُ أناجيل، واختُلفَ فِي لفظِ (الإنْجيل)؛ فَقيل: اسمٌ عِبْرانيٌّ، وَقيل: سُرْيانيٌّ، وَقيل: عربيٌّ، مُشتَقٌّ من النَّجْلِ، وَهُوَ الأَصْل، أَو من نَجَلْتُ الشيءَ: أَي أَظْهَرتُه، أَو من نَجَلَه: إِذا استخرجَه، وقيلَ غيرُ ذَلِك، وَعَن الأَصْمَعِيّ: الإِنْجيل: كلُّ كتابٍ مكتوبٍ وافرِ السُّطورِ، وَهُوَ إِفْعيلٌ من النَّجْل. ينظر تاج العروس، للزَّبيدي (458/30).

وتكمن مشكلة البحث في نظرة الغرب السلبية لمحمد ﷺ وهو النبي الْمُبَشَّرُ به في التوراة والإنجيل، قال -تعالى-: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: 157]. فما يقومون من إساءات للرسول ﷺ تعطي مؤشرا على جهلهم ببشارات كتبهم به، وفي إطار العمل على وقف هذا العداء، أو التقليل منه يمكن صياغة مُشكلة البحث في جملة من التساؤلات الرئيسة على النحو الآتي:

1. من هو بَارْنَابَا صاحب الإنجيل؟
2. ما حقيقة إنجيل بَارْنَابَا؟
3. ما موقف الكنيسة من هذا الإنجيل؟
4. هل بَشَّرَ المسيح بنبي الإسلام محمد ﷺ في إنجيل بَارْنَابَا؟

أهداف البحث: وتكمن فيما يأتي:

1. التعريف ببَارْنَابَا صاحب الإنجيل.
2. التعريف بإنجيل بَارْنَابَا.
3. بيان موقف الكنيسة من إنجيل بَارْنَابَا.
4. بيان بشارة المسيح بنبي الإسلام محمد ﷺ في إنجيل بَارْنَابَا.

أهمية الدّراسة: وتكمن فيما يأتي:

1. التعرف على إنجيل بَارْنَابَا الأقرب إلى القرآن الكريم، إضافة إلى الأناجيل الأربعة الأخرى المعترف بها من قبل الكنيسة، وهي أناجيل: مَتَّى، وَمُرْقُصُ، وَلُوقَا، وَيُوحَنَّا.
2. معرفة مواقف المسيئين إلى النبي ﷺ من أجل التصدي لها والرد عليها.
3. التذكر بأن العالم كلّه صار كالقرية الواحدة، ما يفرض علينا فهم عقائد الآخرين، ودعوتهم للإسلام وحوارهم وفق قوله -تعالى-: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125].

مصطلحات البحث:

بداية لابد من بيان الفرق بين مصطلحَيْ (النصرانية) و(المسيحية)؛ فالنصرانية هي الاسم الشرعي لما جاء به عيسى عليه السلام في الإنجيل، وأتباعه يُسَمَّوْنَ النصارى، وقد سماهم القرآن بذلك، قال -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّابِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: 17]، وقال: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: 84]. ولذلك فالتسمية الشرعية لأتباع عيسى النصارى، أما تسمية المسيحية فهي محدثة، وترمز إلى المذاهب المرتبطة بالمسيح؛ لأن المسيحية من حيث معناها العرفي الدلالي هي التسمية التي أطلقها بولس الرسول المسمى: شاؤول (ت: 64م)[1] في مدينة أنطاكيا، في أواخر أربعينيات القرن الأول الميلادي على يد أتباعه بعد تركهم مذهب حواريّي المسيح المؤمنين بالتوحيد وبشريعة موسى عليه السلام، ولذلك فإنه يمكن طرح السؤال الآتي: هل النصرانية والمسيحية شيء واحد، أم لا؟

الجواب لا؛ فهما مذهبان مختلفان، بل متصارعان؛ فمصطلح النصرانية شاع إطلاقه في أيام المسيح، وهو مصطلح توحيدي صرف، بينما مصطلح المسيحية مصطلح مُطور يطلق على أكثر من مذهب؛ بحسب رؤية بولس الرسول، ومع ذلك فقد اختلط المصطلحان عبر العصور، وصار التفريق بينهما صعبا، يجب الرجوع فيه إلى الأساس الدلالي[2]، ومعرفة مصدر تلقي النصرانية نفسها.

كما أن من أهم مصطلحات هذا البحث ما بينه لنا الباحث المعاصر الدكتور أحمد إيبش من خلال ما وجده باللغة العربية على هامش المخطوطة الإيطالية -سيأتي التعريف بها لاحقا في هذا البحث-، يقول الدكتور أحمد إيبش عند ترجمة نص البشارة بالنبي ﷺ نقلا عن مترجم النص: «إِن رَسُولَ اللَّهِ بَهَاءٌ» وتعني في لسان العرب أحمد، وفي اللسان العبري مَسِيءُ، وفي لسان اللاتين: كنسلاتر، وفي لسان الروم: «باركل تس». ثم يلاحظ الدكتور أحمد إيبش مدى اتساع معارف الرجل الذي كتب هذا الكلام، ويجزم الدكتور أحمد إيبش أنه الراهب مارينو، حتى إن الدراسات التي ظهرت في عصرنا حول بشارة المسيح عليه السلام بنبوة محمد ﷺ وأثرها الباقي حتى الآن في الأناجيل الإزائية (وهي الأناجيل القانونية الثلاثة الأولى: متى، ومرقس، ولوقا، سميت بذلك؛ لأنه يمكن وضعها إزاء بَعْضٍ، فَهْيَ متآلفة ومتشابهة؛ وتُخبر بالقصص نفسها عن عيسى، وتتبع ترتيب الأحداث نفسه) لا تتجاوز

1- بولس الرسول: يكتب في العربية (بولص) بالصاد، ويسمى شاؤول، ولد في مدينة طرسوس، رومي الأصل، يهودي الديانة، كان من الحواريين، لكن سرعان ما تنكر للمسيح وأفسد النصرانية؛ فأدخل فيها عدداً من العقائد، كتأليه المسيح والقول بالتثليث والخطيئة والتكفير، ثم ذهب إلى أنطاكيا، ثم روما مبشرا بالمسيحية، ويعده المسيحيون ثاني أهم شخصية فيها بعد المسيح، وقد استفاد من وضعه باعتباره يهوديا ومواطنا رومانيا ليخدم اليهود والرومان، وقبل تحوله إلى التّثليث كرس حياته لاضطهاد تلاميذ المسيح الموحدين الأوائل في منطقة القدس، ويدّعي أتباعه أنه استشهد في عهد نيرون صَلْباً سنة 64م، ويعتبره الكاثوليك رأس الكنيسة الكاثوليكية، كما يعتبرون بابا روما خليفة له، وتوجد في الفاتيكان كنيسة ضخمة باسمه بنيت سنة 326م. ينظر: فتوح الشام، للواقدي (43/2). والبداية والنهاية، لابن كثير (265/1). وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون (174/2). والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي (200/12).

2- ينظر: مقدّمة ترجمة وتحقيق إنجيل بَارْنَابَا، للدكتور أحمد إيبش، ط. جمعية الدعوة الإسلامية، ص40.

كثيرا حذق مارينو الصدوق هنا في ترجمة العبارة بأدق المفردات؛ فقد عَرَّبَهَا الناسخ البندقي بدقة متناهية، فلنترجمها نحن كذلك إلى لغتها هنا: «البهاء» (ترد في الإيطالية لها ما يقابلها في العبرية بتعبير ذي وقع رفيع: «زُوهار». أما الكلمة اليونانية «باراكليتوس» فارقليط فهي ترد في إنجيل يوحنا (15: 26). 16: 7-15). وتترجم في الطبعات العربية القديمة: «الْمُعَزِّي» (وغدت الترجمات الكاثوليكية الأحدث تترجمها: الْمُؤَيِّدُ، روح الحق). أما في آرامية فلسطين فهي: «مْنَحَّمَانَا». وأخيرا في اللاتينية: الْمُعَزِّي. وأما العبارة العبرية: «مَشِيَّخُ» فتعني: الممسوح بالزيت على جبهته نبيا بارا، المبارك (يقابلها بصيغة التأنيث «يسكاه») وترجمتها في الآرامية: «مْشِيْحَا»، وهو لقب يسوع في الطقوس السريانية؛ فهذه العبارات جميعها تشير -بالضبط كما يروي مارينو أعلاه- إلى اسم طاهر مطهر، يفيض نورا وبهاء: أحمد –محمد– عليه أفضل الصلاة والسلام-[1].

المنهج المتبع في الدراسة:

قد تكون المناهج المتبعة في البحث العلمي الواحد متعددة ومتداخلة؛ فكل مسألة في البحث قد تحتاج إلى منهج، أو مناهج متعددة، ولهذا اعتمدت في هذا البحث على أكثر من منهج من مناهج البحث العلمي؛ فقد استخدمت المنهج الاستقرائي التاريخي، والمنهج الوصفي، والمنهج النقدي التحليلي، والمنهج البنائي.

الدراسات السابقة:

بداية ينبّه الباحث على أن هذه الدراسة تنصب على ترجمة إنجيل بَارْنَابَا، وتحقيقه بالشكل الذي قام بها الدكتور أحمد إيبش في طبعته الأولى سنة 2007م، تحت إشراف جمعية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا، التي تعد عملا جديدا، لم تجر عليه دراسات سابقة حتى الآن –حسب علم الباحث- فهذه الترجمة مغايرة لما قبلها من الترجمات القديمة، وهذا التحقيق مغاير لما قبله من التحقيقات السابقة، لذا فإن هذه الدراسة تقوم على ضوء ما جاء في هذه الترجمة، وهذا التحقيق المعاصر في حلته الجديدة وهو عمل غير مسبوق؛ إذ لا توجد دراسات خاصة بهذه الترجمة وهذا التحقيق بعد صدروه في سنة 2007م –حسب علم الباحث-.

حدود الدراسة:

يقتصر هذا البحث على الاستقراء والرصد والتحليل لما جاء في إنجيل بَارْنَابَا في حلته الجديدة، وما حواه من معلومات مبتكرة، ومقارنة ذلك بما جاء في الأناجيل الأربعة المعتمدة، وما ورد في القرآن الكريم، والسنة النبوة الشريفة، وما يتعلق بذلك من تحليلات واستنباطات.

1- ينظر: المصدر السابق، ص178.

هيكلية البحث:

يتكون البحث من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

فالمقدمة: تتناول إشكالية البحث وأهدافه وأهميته، والمنهج المتبع فيه، ومصطلحاته، وهيكلية البحث.

والمبحث الأول: يتضمن مكونات الكتاب المقدس، والتعريف ببَارْنَابَا، وإنجيله، والموقف منه. ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: مكونات الكتاب المقدس.

المطلب الثاني: التعريف ببَارْنَابَا، وإنجيله، والموقف منه.

والمبحث الثاني: يتضمن بشارات عيسى بنبي الإسلام محمد في إنجيل بَارْنَابَا، وعدم فهم تلاميذ عيسى لنبوءاته. ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: بشارات عيسى بنبي الإسلام محمد في إنجيل بَارْنَابَا.

المطلب الثاني: عدم فهم تلاميذ عيسى لنبوءاته.

أما الخاتمة: فتتضمن أهم نتائج البحث.

المبحث الأول: مكونات الكتاب المقدس والتعريف ببَارْنَابَا، و إنجيله، والموقف منه

المطلب الأول: مكونات الكتاب المقدس

يتكون الكتاب المقدس لدى اليهود من العهد القديم، ويتكون الكتاب المقدس عند المسيحين من العهدين: (العقد القديم، والعهد الجديد). فالعهد القديم هو التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، ويتكون من أسفار اليهود، وَيُقَدِّسُهَا اليهود والمسيحون أيضا، وهو أربعة أقسام: القسم الأول: يضم التوراة، وهي خمسة أسفار (التكوين، والخروج، والعدد، واللاويين، والتثنية)، والقسم الثاني: أسفار الأنبياء، والقسم الثالث: الأسفار التاريخية، والقسم الرابع: المزامير.

أما العهد الجديد فهو الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام، وَيُقَدِّسُهُ المسيحيون فقط دون اليهود، ويتضمن الأناجيل الأربعة القانونية المعترف بها من الكنيسة الغربية الكاثوليكية في روما، وهْيَ: إِنْجِيلُ مَتَّى، وَيُوحَنَّا، وَلُوقَا، وَمُرْقُسُ، يليها سفر أعمال الرسل، ثم الرسائل وعددها واحد وعشرون رسالة[1].

وإطلاق اسم العهد القديم على أسفار اليهود يعني الميثاق الذي يحدد العلاقة بين الله -تعالى- وشعبه المختار -حسب زعمهم- وهم اليهود، في مقابل العهد الجديد الذي يحدد العلاقة بين الله -تعالى- والعالم أجمع من خلال موت يسوع المسيح على الصليب؛ ليفدي البشر حسب ما يعتقد النصارى[2].

وفي هذا السياق يمكن طرح التساؤل الآتي: ما معنى كون أصل الإنجيل صحيحا؟ وكيف نجزم بصحة نصوصه، ما لم نعرف مصدر تلقيه الأصلي؟

وللإجابة على هذا التساؤل يمكن القول بأنه لا شك في أن مصدر تلقي الإنجيل الحقيقي الأصلي الله ﷻ، الذي أنزله على نبيه عيسى عليه السلام. فقد نصت آيات القرآن على أن الإنجيل في الأصل من عند الله، قال -تعالى-: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَاثَارِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 48]، ولهذا فالواجب رد نصوص الإنجيل إلى الدليل الشرعي الثابت؛ فما عُلم بالدليل صدقه صدّقناه، وما عُلم بالدليل كذبه كذّبناه، وما لم نعلم دليلا بشأنه سكتنا عنه، ووكلنا أمره إلى الله -تعالى-، والإيمانُ بهذا من أصول عقيدة الإسلام، قال

1- ينظر الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، علي عبد الواحد وافي، ص 3-18، 64-68.
2- ينظر مقدمة ترجمة وتحقيق إنجيل بَارْنَابَا للدكتور أحمد إبيش، ص21-22.

-تعالى-: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: 284].

لكن الإنجيل دخله التحريف والتبديل على مر السنين؛ ويدل على هذا الوحي، ويصدقه الواقع، ويؤكده ما في عقيدتي التثليث والصلب من تحريف؛ قال -تعالى-: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾ [المائدة: 19]. وقال -تعالى-: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ﴾ [المائدة: 75]. وقال -تعالى-: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِۖ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٦ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: 156-157].

يقول ابن تيمية: «وَأَمَّا الْأَنَاجِيلُ الَّتِي بِأَيْدِي النَّصَارَى فَهِيَ أَرْبَعَةُ أَنَاجِيلَ: إنْجِيلُ مَتَّى، وَيُوحَنَّا وَلُوقَا، وَمُرْقُسَ، وَهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ لُوقَا وَمُرْقُسَ لَمْ يَرَيَا الْمَسِيحَ، وَإِنَّمَا رَآهُ مَتَّى وَيُوحَنَّا، وَأَنَّ هَذِهِ الْمَقَالَاتِ الْأَرْبَعَةَ الَّتِي يُسَمُّونَهَا الْإِنْجِيلَ، وَقَدْ يُسَمُّونَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إنْجِيلًا، إنَّمَا كَتَبَهَا هَؤُلَاءِ بَعْدَ أَنْ رُفِعَ الْمَسِيحُ، فَلَمْ يَذْكُرُوا فِيهَا أَنَّهَا كَلَامُ اللَّهِ، وَلَا أَنَّ الْمَسِيحَ بَلَّغَهَا عَنِ اللَّهِ، بَلْ نَقَلُوا فِيهَا أَشْيَاءَ مِنْ كَلَامِ الْمَسِيحِ، وَأَشْيَاءَ مِنْ أَفْعَالِهِ وَمُعْجِزَاتِهِ، وَذَكَرُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَنْقُلُوا كُلَّ مَا سَمِعُوهُ مِنْهُ وَرَأَوْهُ؛ فَكَانَتْ مِنْ جِنْسِ مَا يَرْوِيهِ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَالسِّيَرِ وَالْمَغَازِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ الَّتِي لَيْسَتْ قُرْآنًا ... فَهَذِهِ الْأَنَاجِيلُ الَّتِي بِأَيْدِي النَّصَارَى مِنْ هَذَا الْجِنْسِ فِيهَا شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنْ أَقْوَالِ الْمَسِيحِ وَأَفْعَالِهِ وَمُعْجِزَاتِهِ، وَفِيهَا مَا هُوَ غَلَطٌ عَلَيْهِ -بِلَا شَكٍّ-، وَالَّذِي كَتَبَهَا فِي الْأَوَّلِ إذَا لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يُتَّهَمُ بِتَعَمُّدِ الْكَذِبِ، فَإِنَّ الْوَاحِدَ وَالِاثْنَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ وَالْأَرْبَعَةَ لَا يَمْتَنِعُ وُقُوعُ الْغَلَطِ وَالنِّسْيَانِ مِنْهُمْ، لَا سِيَّمَا مَا سَمِعَهُ الْإِنْسَانُ وَرَآهُ ثُمَّ حَدَّثَ بِهِ بَعْدَ سِنِينَ كَثِيرَةٍ، فَإِنَّ الْغَلَطَ فِي مِثْلِ هَذَا كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أُمَّةٌ مَعْصُومَةٌ يَكُونُ تَلَقِّيهَا لَهَا بِالْقَبُولِ وَالتَّصْدِيقِ مُوجِبًا لِلْعِلْمِ بِهَا؛ لِئَلَّا تَجْتَمِعَ الْأُمَّةُ الْمَعْصُومَةُ عَلَى الْخَطَأِ، وَالْحَوَارِيُّونَ كُلُّهُمُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا»[1].

ويمكن القول بأنه مع وجود التحريف فإن من النصوص ما لم يكن محرَّفاً في زمنه ﷺ كما تشير إلى ذلك نصوص القرآن في قوله -تعالى-: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [يونس: 94]. وقوله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ

1- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (3/21-27).

عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157].

يقول ابن تيمية: «وَالْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ الْمُتَوَاتِرَةُ يَدُلَّانِ عَلَى أَنَّ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ الْمَوْجُودَيْنِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِمَا مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ ﷻ، وَالْجَزْمُ بِتَبْدِيلِ ذَلِكَ فِي جَمِيعِ النُّسَخِ الَّتِي فِي الْعَالَمِ مُتَعَذِّرٌ، وَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى ذِكْرِهِ، وَلَا عِلْمَ لَنَا بِذَلِكَ»[1].

خلاصة القول: إن نصوص الإنجيل الحالية فيها ما يُقطع بتحريفه؛ لمخالفته للكتاب والسنة، وفيها ما يُقطع بتصديقه؛ لتوافقه مع ما ورد في القرآن والسنة؛ فما كذّبه القرآنُ والسنةُ كذّبناه، وما صدّقاه صدّقناه، ومنه ما لا يمتنع أن يكون من عند الله، لكن القرآن والسنة لم تصدّقاه ولم تكذباه؛ فلا نصدّقه ولا نكذّبه، ونترك علمه إلى الله، ولا نقطع فيه بشيء، ففي صحيح البخاري: «كَانَ أَهْلُ الكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 135][2]. وفي سنن الترمذي، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِاللهِ وَرُسُلِهِ، فَإِنْ كَانَ بَاطِلًا لَمْ تُصَدِّقُوهُ، وَإِنْ كَانَ حَقًّا لَمْ تُكَذِّبُوهُ»[3].

فالحاصل إذن؛ أنه ما دامت التوراة والإنجيل في أصلهما من الله، فما يوجد فيهما مطابق للقرآن والسنة نأخذ به، وما لم يرد في القرآن ولا السنة ما يؤيده ولا يكذبه -كصفة سفينة نوح في الكتاب المقدس من حيث الطول والعرض، وما تحتويه من أبواب، وعدم توصيفها في القرآن والسنة- فإننا لا نستطيع القطع بتحريفه أو عدم تحريفه إلا بدليل، فإذا لم نجد دليلا فإننا نترك علمه إلى الله -تعالى-. وهنا في هذا البحث بالذات تبرز مسألة جديدة وهي إنجيل بَارْنَابَا موضوع بحثنا الذي ينطبق عليه ما ينطبق على غيره من الأناجيل؛ وحيث إنه لم يكن معروفا كمعرفة الناس بالأناجيل الأربعة الشهيرة؛ فلنبدأ بالتعريف به على النحو الآتي:

1- المصدر السابق (499/2).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿قُولُوا۟ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ برقم: 4485 حسب ترقيم فتح الباري.

3- أخرجه أبي داود في سننه، بَابُ رِوَايَةِ حَدِيثِ أَهْلِ الْكِتَابِ، برقم: 3644، وصحّحه الألباني، في السلسلة الصحيحة (712/6).

المطلب الثاني: التعريف ببَارْنَابَا وبإنجيله وموقف الكنيسة والباحثين المحدثين منه

أ- التعريف بِبَارْنَابَا:

بَارْنَابَا -أو كما يدعوه المسيحيون: القديس بَارْنَابَا- أحد تلاميذ المسيح عليه السلام، وهو شخصية محورية في تاريخ النصرانية، رغم أن المسيحيين حاليا لا يؤمنون بإنجيله، ويعدونه منحولا لا أصل له، رغم أنه مذكور في وثائقهم المسيحية المبكرة، ذلك أن من المصادر الرئيسة حول حياة بَارْنَابَا ما يرويه لوقا في أعمال الرسل، ولما كان لوقا تلميذا لبولس الرسول فأغلب الظن أنه لم يكتب إلا ما يوافق مُعَلِّمَهُ، ولذا فالذي جرى أن الافتراق بين بَارْنَابَا وبولس الرسول أسس لبداية الانشقاق الجوهري بين العقيدتين: عقيدة بَارْنَابَا وكنيسة أورشليم التوحيدية، وعقيدة بولس والكنيسة الأممية الكاثوليكية في روما، وقد تمت التعمية على حيثيات عقيدة بَارْنَابَا على يد بولس ولوقا أوّلا، ثم على يد أساقفة مجمعَيْ: نيقية[1] سنة 325م، وخلقيدونية[2] سنة 451م[3]. ومن تلاهم بإيعاز من الإمبراطور قسطنطين الأول[4].

وعلى أي حال؛ كان اسم بَارْنَابَا الأصلي في أعمال الرسل (يوسيف)، وفي الأناجيل اليونانية البيزنطية (يوسيس)، ومن المرجح أن ذلك بالعربية (يوسف)، وقد ولد بَارْنَابَا في جزيرة قبرص في مطلع التقويم الميلادي لأسرة لاوية، وتذكر المصادر أنه في حوالي عام 30م كان بَارْنَابَا مع بولس الرسول يتلقّيان أحكام الشريعة اليهودية بالقدس، وأن كليهما والمسيح عليه السلام وتلامذته جميعا كانوا من اليهود وهي حقيقة تختلط في أذهان كثير من الناس[5]. وتذكر المصادر المسيحية أن بَارْنَابَا عاد إلى قبرص، ثم رُجم فيها عام 61م حتى الموت على يد اليهود، وقد بني على رفاته لاحقا دير باسمه، وتم اعتباره قديسا حاميا لجزيرة قبرص يحتفل بعيده في 11 يونيو سنويا[6]، بعد أن نجحت في آخر حياته مساعي بولس وقسطنطين في تغيير عقيدة التوحيد النصرانية، فانكفأت

1- نيقية (NICAEA): نيقوسيا، عاصمة قبرص الحالية، والأفقوسية اسم مدينة جزيرة قبرص، وفي معجم البلدان: مدينة نيقية من أعمال اصطنبول، وقد اجتمع بها آباء الملة المسيحية، وكانوا ثلاثمائة وثمانية عشر، وهو أول المجامع لهذه الملة. ينظر: معجم البلدان (333/5)، ومعجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي لمحمد دهمان، ص119.

2- خلقيدونية -أو خلقدونية (Chalcidice)-: مدينة تقع الآن باليونان قرب مدينة سالونيك. ينظر: رحلة بنيامين الططيلي (402/4).

3- ينظر: مقدمة ترجمة وتحقيق إنجيل بَارْنَابَا للدكتور أحمد إبيش، ص9.

4- ينظر: المصدر السابق، ص41.

5- ينظر: المصدر السابق، ص42.

6- ينظر: المصدر السابق، ص45.

كنيسة أورشليم التوحيدية المنادية بنصرانية متوافقة مع شريعة موسى، وتقطعت بذلك روابطها مع الدين الختامي المنتظر (الإسلام) ومع بشارة المسيح بني الإسلام محمد ﷺ[1].

ب- التعريف بإنجيل بَارْنَابَا:

إنجيل بَارْنَابَا من الأناجيل التي كانت معروفة في القديم؛ باعتبار أن بارنابا أحد حواريّي المسيح عليه السلام، وقد نقل بارنابا ما أملى عليه المسيح عليه السلام، ويُعدُّ إنجيله الأقربَ من كل الأناجيل إلى القرآن الكريم؛ لتطابقه في كثير من نصوصه مع القرآن، وقد أثبت المختصون وجود إنجيل بارنابا قبل الإسلام بنحو ثلاثمائة سنة؛ فورد ذكره في كتب القرنين الثاني والثالث للميلاد، لكنه اختفى بعد ذلك، بعد أن منعت الكنيسة تداوله، وأحرقت ما وقع في يدها من نسخه، وهددت من يوجد عنده بأشد العقوبات؛ لأنه يقرر أن عيسى بشر رسول الله، وليس ربّا إلهاً، وأنه بشَّر بنبي يأتي من بعده اسمه أحمد[2].

ويذكر الدكتور أحمد إيبش أنه تم بأوامر كَنَسِيَّةٍ تحريم بعض الأناجيل؛ كأمر البابا داماسوس الأول سنة 366م، ومجلس الكنائس الغربية سنة 382م، والبابا إينوسنت سنة 465م، وأقدم ذكر لإنجيل بَارْنَابَا يوجد في وثيقتين مسيحيتين باكرتين، هما قائمتان بالأناجيل المنحولة المحرمة كَنَسِيًّا:

- الأولى: «مرسوم البابا جيلا سيوس» في أوائل القرن الخامس (تولى منصبه عام 492م).
- والثانية: «قائمة الستين كتابا» في القرن السابع، وتضم إنجيل بَارْنَابَا ورسالته.

ولذا فإن ثغرة زمنية طويلة تفصل بين زمن هاتين القائمين والقرن الثامن عشر -زمن ظهور المخطوطتين الحاليتين-، الأمر الذي يدل على أن القرون التي أعقبت مَجْمَعَيْ: نيقية سنة 325م، وخلقيدونية سنة 451م مارست فيها الإمبراطورية البيزنطية هيمنة دينية تعسفية ضد مخالفي عقيدتها القائمة على التثليث وبنوة المسيح لله، وصلبه -والعياذ بالله من هذا الشرك-[3].

وقد ظل إنجيل بَارْنَابَا مختفيا إلى أن عثر على نسخة منه باللغة الإيطالية في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي كان يُحْتَفَظُ بها في مكتبة إمبراطور النمسا، وقد قُدِّمَتْ له عام 1713م من قبل جون فريدريك كريمر،

1- ينظر: المصدر السابق، ص47.

2- ينظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، للدكتور علي عبد الواحد وافي، ص106 وما بعدها. محاسن التأويل، للقاسمي (433/4). رَكائزُ الإيمانِ، لمحمد قطب، ص187.

3- ينظر الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، للدكتور علي عبد الواحد وافي، ص106 وما بعدها. رَكائزُ الإيمانِ، لمحمد قطب، ص187. مقدمة ترجمة وتحقيق إنجيل بَارْنَابَا، للدكتور أحمد إيبش، ص49.

ثم نقلت إلى مكتبة فيينا الوطنية عام 1738م، مع بقية مكتبته في أمستردام قبل 1709م، وقد أحدث نشره ضجَّة كبرى في ذلك الوقت في العالم[1].

ويرجح الباحث ما يراه الدكتور علي عبد الواحد وافي من أن هذه النسخة مترجمة عن اللغة التي كتب بها هذا الإنجيل في الأصل، وهي اللغات العبرية والآرامية واليونانية، أما الإيطالية فهو لغة حديثة لم تكن موجودة زمن كتابة الإنجيل، بل تفرعت عن اللاتينية حوالي القرن السادس عشر الميلادي[2].

وتشكل المخطوطة الإيطالية الأساس للإصدار باللغة الإنجليزية؛ فقد تَرْجَمَ القس الإنجليزي لونسديل وزوجته لورا ماريا راج؛ هذا النصَّ -الذي كان يعد بحكم الضائع- ونشره للمرة الأولى عام 1907م، حيث قاما بترجمة مخطوطة إيطالية تعود إلى خاتمة القرون الوسطى وتحقيقها ونشرها، وهي الأكثر شيوعا، ثم قام بترجمتها إلى العربية الطبيب اللبناني الأرثودوكسي خليل سعادة (ت: 1934م)، ونشرها محمد رشيد رضا (ت: 1935م) في مطبعة المنار في مصر عام 1908م، تم أعيد نشرها ثانية عام 1958م[3].

كما عثر على نسخة إسبانية، وهي أقدم وثيقة، تتوافق مع ما ورد في المخطوطة المغاربية الواردة في مخطوط مكتوب في مدريد عام 1634م من قبل إبراهيم الطايبيلي في تونس[4]، وفيها بشارة عن مقدم النبي محمد ﷺ.

وكان أول ذكر لهذا الإنجيل بعد اختفائه قديما عام 1717م؛ حيث تم العثور على إشارة إلى دين محمد ﷺ في النص الإسباني الذي كتبه أدريان ريلند في عام 1718م، ولا أثر بعد ذلك للمخطوطة الإسبانية الأصلية منذ عام 1792 إلى أن تم اكتشاف نسخة القرن 18 منها عام 1970 في جامعة سدني بأستراليا[5].

1- ينظر الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، للدكتور علي عبد الواحد وافي، ص109 وما بعدها.

2- ينظر: المصدر السابق، ص109.

3- ينظر: مقدمة ترجمة وتحقيق إنجيل بَارْنَابَا، للدكتور أحمد إيبش، ص 11 - 14. تفسير المنار (250/9).

4- Wiegers, G. A. (April–June 1995). "Muhammad as the Messiah: A comparison of the polemical works of Juan Alonso with the Gospel of Barnabas". Biblitheca Orientalis. LII (3/4): 274.

5- ينظر: مقدمة ترجمة وتحقيق إنجيل بَارْنَابَا، للدكتور أحمد إيبش، ص11 - 14. تفسير المنار (250/9).

ج- بيان موقف الكنيسة من إنجيل بَارْنَابَا:

لا تعترف الكنيسة القديمة[1] إلا بأربعة أناجيل (المسماة بالأناجيل القانونية) عبر المجمَعَيْن الكنسّيَّيْن المنعقدَيْن في نيقية سنة 325م، وخلقيدونية سنة 451م[2]، والأناجيل الأربعة التي تعترف بها الكنيسة هي: إنجيل متَّى، وإنجيل مرقص، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا، أما إنجيل بَارْنَابَا فإن الكنيسة لا تعترف به[3]، رغم أنه الأقرب إلى القرآن الكريم.

د- رأي الباحثين المُحْدَثِينَ في إنجيل بَارْنَابَا:

ينقسم الباحثون المحدثون حول إنجيل بَارْنَابَا على قسمين:

القسم الأول: يشككون في صحة إنجيل بَارْنَابَا أصلا، ويعتبرونه عملا منحولا ملفقا، وكاتبه راهب مسيحي أسباني اسمه مارينو، وقد كتبه بعد أن اعتنق الإسلام، وتَسَمَّى باسم مصطفى العرندي أو مصطفى دي آراندا (Motaafa de Aranda) في القرن الخامس عشر ميلادي؛ أي: بعد مجيء رسول الإسلام ﷺ بحوالي تسعة قرون[4]. ويرى أصحاب هذا الرأي أن كاتبه المسلم حاول مواءمة ما فيه ليتوافق مع ما في الإسلام، كنفي ألوهية المسيح، وكونه مبشرا برسول يأتي من بعده اسمه أحمد[5]، كما يرون أن بهذا الإنجيل من الأخطاء التاريخية ما يؤكد أن كاتبه مسلم.

ويمثل هذا الرأي أغلب البحاث المسيحيين وبعض البحاث المسلمين؛ ما يهمنا منهم على سبيل المثال لا الحصر: محمد شفيق غربال (ت: 1961م) وعباس محمود العقاد (ت: 1964م)، وعلي عبد الواحد وافي (ت:

1- كان للكنيسة في الأصل فرعان: الكنيسة الغربية ويتزعمها البابا في روما، وهم الكاثوليك، والكنيسة الشرقية أو كنيسة الروم الأرثوذكس، ويتزعمها بطريرك القسطنطينية وتتبعها كنائس الشرق، وكان مقرها القسطنطينية حتى فتحها المسلمون العثمانيون عام 1452م، فسموها إسلام بول –أي دار الإسلام– ثم حرفت إلى (اسطنبول). ينظر دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، لسعود بن عبد العزيز الخلف، ص260، 375.

2- ينظر: مقدمة ترجمة وتحقيق إنجيل بَارْنَابَا للدكتور أحمد إيبش، ص9.

3- ينظر: مقدمة ترجمة وتحقيق إنجيل بَارْنَابَا للدكتور أحمد إيبش، ص 9.

4- Joosten, Jan (January 2002). "The Gospel of Barnabas and the Diatessaron". Harvard Theological Review. 95 (1): 73–96. .12 وانظر مقدمة ترجمة وتحقيق إنجيل بَارْنَابَا أحمد إيبش، ص

5- Ragg, L & L (1907). The Gospel of Barnabas. Oxford. ISBN 1-881316-15-7.

1991م) في كتابه: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام[1]. فهم يرون أنه وإن كان لهذه النسخة أصل، فيبدو أنها لعبت فيها يَدُ مُسْلِمٍ، فأدخلت فيها ما ليس منها، وذلك ليس بسبب تلك التعليقات العربية التي وجدت على هامش النسخة الإيطالية الأصلية الموجودة في فيينا، وإنّما بسبب بعض المبالغات التي وَصَفَ بها هذا الإنجيلُ محمداً ﷺ بأوصاف بلغت حد الغلو فيه، فهو وإن بَشَّرَ ببشارات صريحة بمجيء محمد ﷺ، لكنْ يُستبعد أن يكون قد شاع بين أهل الكتاب هذه البشارات التي وصفوها بالخرافات التي شاعت بين المسلمين، ونسبوها للرسول ﷺ. فقد ورد في هذا الإنجيل مثلا:

«فَعِنْدَهَا قَالَ الْكَاهِنُ: «مَاذَا يَكُونُ اسْمُ الْمَشِيحِ؟ وَمَا هِيَ الْإِشَارَةُ الَّتِي تُنْبِئُ بِمَجِيئَهُ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «إِنَّ اسْمَ الْمَشِيحَ بَدِيعٌ؛ فَإِنَّ اللَّهَ ذَاتَهُ قَدْ سَمَّاهُ بِهِ لَمَّا خَلَقَ نَفْسَهُ وَأَوْدَعَهَا فِي بَهَاءٍ سَمَاوِيٍّ قَالَ اللهُ: «صَبْرًا يَا مُحَمَّدُ، فَإِنِّي لِأَجْلِكَ أَشَاءُ أَنْ أَخْلُقَ الْجَنَّةَ وَالدُّنْيَا وَجَمًّا غَفِيرًا مِنَ الْخَلَائِقِ الَّتِي أَهَبُهَا لَكَ حَتَّى إِنَّ مَنْ يُبَارِكُكَ يَكُونُ مُبَارَكًا، وَمَنْ يَلْعَنُكَ يَكُونُ مَلْعُونًا؛ فَمَتَى بَعَثْتُكَ إِلَى الدُّنْيَا فَإِنِّي بَاعِثُكَ رَسُولًا لِي لِلْخَلَاصِ وَتَكُونُ كَلِمَتُكَ صَادِقَةً، حَتَّى إِنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ تَهِنَانِ، أَمَّا إِيمَانُكَ فَلَا يَهِنُ أَبَدًا، إِنَّ اسْمَهُ الْمُبَارَكَ مُحَمَّدٌ». حِينَئِذٍ صَدَحَ الْجُمْهُورُ بِأَصْوَاتِهِمْ قَائِلِينَ: «يَا اللهُ، أَرْسِلْ إِلَيْنَا رَسُولَكَ؛ يَا مُحَمَّدُ عَجِّلْ بِالْمَجِيءِ لِخَلَاصِ الْعَالَمِ»[2].

ويقول حاكياً عن الرسول محمد ﷺ: «وَيَذْهَبُ رَسُولُ اللهِ لِيَجْمَعَ الْأَنْبِيَاءَ بِأَسْرِهِمْ فَيُخَاطِبُهُمْ رَاغِبًا إِلَيْهِمْ أَنْ يَذْهَبُوا مَعَهُ لِيَضَرَّعُوا إِلَى اللهِ لِأَجْلِ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَعْتَذِرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ خَوْفًا، وَبِاللهِ الْحَيِّ إِنِّي أَنَا -أَيْضًا- لَا أَذْهَبُ إِلَى هُنَاكَ لِأَنِّي أَعْرِفُ مَا يَكُونُ عَلَيْهِ الْأَمْرُ، ثُمَّ بَعْدَهَا عِنْدَمَا يَرَى اللهُ ذَلِكَ يُذَكِّرُ رَسُولَهُ كَيْفَ أَنَّهُ قَدْ خَلَقَ الْمَخْلُوقَاتِ كُلَّهَا مَحَبَّةً بِهِ، فَيَزُولُ عَنْهُ خَوْفُهُ فَيَتَقَدَّمُ إِلَى الْعَرْشِ بِمَحَبَّةٍ وَإِجْلَالٍ وَالْمَلَائِكَةُ تُرَنِّمُ: «تَبَارَكَ اسْمُكَ الْقُدُّوسُ يَا اللهُ إِلَهَنَا». فَمَتَى بَاتَ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنَ الْعَرْشِ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِرَسُولِهِ كَخَلِيلٍ لِخَلِيلِهِ لَمْ يلتقيا لِأَمَدٍ طَالَ وَامْتَدَّ. فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَبْتَدِئُ الْكَلَامَ رَسُولُ اللَّهِ، فَيَقُولُ: «إِنِّي أَعْبُدُكَ وَأُحِبُّكَ يَا إِلَهِي، وَمِنْ كُلِّ قَلْبِي وَنَفْسِي أَحْمَدُكَ لِأَنَّكَ تَكَرَّمْتَ بِأَنْ خَلَقْتَنِي لِأَكُونَ عَبْدَكَ، وَخَلَقْتَ كُلَّ شَيْءٍ حُبًّا بِي لِكَيْ أُحِبَّكَ مِنْ أَجْلِ كُلِّ شَيْءٍ وَفِي كُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ»[3].

ويرى الباحث أن ما احتج به هؤلاء الباحثون يكاد يكون شبهات، لا يُسَلَّمُ لهم بها، بل الراجح أن ما ورد في إنجيل بَارْنَابَا يتّفق مع ما ورد في حديث الشفاعة الطويل الوارد في الصحيحين أن البشر يأتون آدم يوم القيامة، طالبين الشفاعة، ثم يأتون عددا من الأنبياء بعده، وكلٌّ يقول: نفسي نفسي، إلى أن يقولوا اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى

1- ينظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، لعلي عبد الواحد وافي. جريدة الأخبار المصرية 1959/10/26م.
2- بَارْنَابَا، الفصل: 97، ص 274 - 277.
3- بَارْنَابَا: الفصل: 55، ص 198 - 199.

ابْنِ مَرْيَمَ، فيقول اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، فيأتون إلى محمد فيقول: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَلاَ يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عليه السلام فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ. فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عز وجل قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاَثَ كَذَبَاتٍ - فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الْحَدِيثِ-، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى. فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى. فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ -وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا-، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ. فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عز وجل، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ. فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ

مَصَارِيعِ الجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»[1]. وفي رواية مسلم: «إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»[2].

وأيضا فهم يحتجون بما ورد في إنجيل بَارْنَابَا عن عيسى عليه السلام في قوله: «قَالُوا: إِنْ لَمْ تَكُنْ الْمَسِيحَ وَلَا إِيلِيَّاءَ، وَلَا أَيَّ نَبِيٍّ، فَلِمَاذَا تَدْعُو إِلَى عَقِيدَةٍ جَدِيدَةٍ، وَتَجْعَلُ نَفْسَكَ أَعْظَمَ شَأْنًا مِنَ الْمَسِيحِ؟ أَجَابَ يَسُوعُ: «إِنَّ الْآيَاتِ الَّتِي يَعْمَلُهَا اللهُ عَلَى يَدَيَّ تَدُلُّ عَلَى أَنِّي أَتَكَلَّمُ بِمَا يُرِيدُهُ اللهُ، وَلَسْتُ أَجْعَلُ نَفْسِي نَظِيرَ مَنْ عَنْهُ تَتَكَلَّمُونَ؛ فَأَنَا لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحِلَّ شِكَالَ جَوْرَبَ أَوْ سُيُورَ حِذَاءَ رَسُولِ اللهِ[3] الَّذِي تُسَمُّونَهُ مَسِيَّحَ الَّذِي خُلِقَ قَبْلِي وَسَيَأْتِي بَعْدِي، وَسَيَأْتِي بِكَلَامِ الْحَقِّ، فَلَا يَكُونُ لِدِينِهِ خَاتِمَةٌ»[4]. وفي الفصل السابع والتسعين ورد ما نصه: «وَمَعَ أَنِّي لَسْتُ مُسْتَحِقًّا أَنْ أَحُلَّ سَيْرَ نَعْلِهِ فَلَقَدْ نِلْتُ نِعْمَةً وَرَحْمَةً مِنَ اللهِ لِإِرَاهُ»[5].

ويعلق الدكتور أحمد إيبش على هذا النص بأن الجواب على هذا النحو موجود في إنجيل يوحنا ومتى ومنسوب إلى يوحنا المعمدان (النبي يحيى بن زكريا عليه السلام أنه قاله عن المسيح عليه السلام) ولذا لسنا نرى في إنجيل بَارْنَابَا ذكرا ليوحنا المعمدان؛ باعتباره كان رسولا مُقدَّما للمسيح، بل إن المسيح عليه السلام كان هو نقطة الفصل ما بين نبوات أنبياء بني إسرائيل ونبوة سيدنا محمد[6].

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً﴾ [الإسراء: 3]، رقم: 4712.

2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: 327.

3- قارن هذا بما ورد في إنجيل مرقس 1: 6-8 ونصه: «وَكَانَ يُوحَنَّا يَلْبَسُ وَبَرَ الإِبِلِ، وَمِنْطَقَةً مِنْ جِلْدٍ عَلَى حَقْوَيْهِ، وَيَأْكُلُ جَرَادًا وَعَسَلًا بَرِّيًّا، وَكَانَ يَكْرِزُ قَائِلاً: «يَأْتِي بَعْدِي مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَنْحَنِيَ وَأَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ، أَنَا عَمَّدْتُكُمْ بِالْمَاءِ، وَأَمَّا هُوَ فَسَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ». فهذا يوازي هذا إزائيا. وفي إنجيل يوحنا 1: 19-28 ما نصه: «وَهذِهِ هِيَ شَهَادَةُ يُوحَنَّا، حِينَ أَرْسَلَ الْيَهُودُ مِنْ أُورُشَلِيمَ كَهَنَةً وَلاَوِيِّينَ لِيَسْأَلُوهُ: «مَنْ أَنْتَ؟» فَاعْتَرَفَ وَلَمْ يُنْكِرْ، وَأَقَرَّ: «إِنِّي لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحَ» فَسَأَلُوهُ: «إِذًا مَاذَا؟ إِيلِيَّا أَنْتَ؟» فَقَالَ: «لَسْتُ أَنَا» «أَلنَّبِيُّ أَنْتَ؟» فَأَجَابَ: «لاَ». فَقَالُوا لَهُ: «مَنْ أَنْتَ، لِنُعْطِيَ جَوَابًا لِلَّذِينَ أَرْسَلُونَا؟ مَاذَا تَقُولُ عَنْ نَفْسِكَ؟» قَالَ: «أَنَا صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: قَوِّمُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، كَمَا قَالَ إِشَعْيَاءُ النَّبِيُّ» وَكَانَ الْمُرْسَلُونَ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ، فَسَأَلُوهُ وَقَالُوا لَهُ: «فَمَا بَالُكَ تُعَمِّدُ إِنْ كُنْتَ لَسْتَ الْمَسِيحَ، وَلاَ إِيلِيَّا، وَلاَ النَّبِيَّ؟» أَجَابَهُمْ يُوحَنَّا قَائِلاً: «أَنَا أُعَمِّدُ بِمَاءٍ، وَلكِنْ فِي وَسْطِكُمْ قَائِمٌ الَّذِي لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ هُوَ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي، الَّذِي صَارَ قُدَّامِي، الَّذِي لَسْتُ بِمُسْتَحِقّ أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ» هذَا كَانَ فِي بَيْتِ عَبْرَةَ فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ حَيْثُ كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ».

4- بَارْنَابَا، الفصل: 42، ص 170-171.

5- بَارْنَابَا، الفصل: 96، ص 273.

6- ينظر: مقدمة ترجمة وتحقيق إنجيل بَارْنَابَا، للدكتور أحمد إيبش، ص171.

وفي السياق نفسه يشير الدكتور أحمد إيبش إلى أنه من خلال ما كتبه راغ في مقدمته المطولة وتبعه سعادة يجزم الرجلان بكل ثقة وذكاء خارق أن إنجيل بَارْنَابَا لابد أن واضعه رجل يهودي تنصر أولا، تم أسلم وشاء الطعن في المسيحية فألّفه في إسبانيا مستقيا معلوماته من الملهات الإلهية لدانته وما سواها[1].

ولم يكتفيا بذلك، بل الأخطر أنهما تصرفا في ترجمة النص -على هذا الأساس- كما يحلو لهما؛ فأقحما فيه كلمات نابية على لسان النبي الطاهر -عيسى عليه السلام- بافتراء وبهتان، الأمر الذي جعل العشرات يكيلون الهجوم على إنجيل بَارْنَابَا ومصداقيته دون الرجوع إلى المخطوطَيْن الأصليَّيْن لمعرفة الحقيقة[2].

خلاصة رأيهم: أنه لا يُسَلَّمُ بأن تكون هذه الأقوال من الإنجيل الأصلي؛ فهي غير صحيحة وتتناقض مع الحقَّ؛ فالله خلق البشر والجنَّ والملائكة لعبادته، قال -تعالى-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، كما أن مثل هذا الكلام يستبعد أن يصدر عن عيسى عليه السلام وهو رسول من أولي العزم من الرسل. وأيضا مما يؤيدون به رأيهم، أن هذه الأقوال المغالية في النبي ﷺ شائعة بين المسلمين منذ القدم، وقد صاغوها على شكل أحاديث نسبوها إلى الرسول ﷺ، وهي أحاديث ضعيفة وموضوعة -لا شك أنها من الإسرائيليات- التي ورثها المسلمون عن اليهود، ومن هذه الأحاديث:

«لولاك لما خَلَقْتُ الأفلاك»[3]. وحديث: «كنتُ نبياً وآدَمُ بين الماء والطّين»[4]. وحديث: «كنتُ أوَّلَ النّبيّين في الخَلْقِ وآخرَهم في البَعْث»[5]. وحديث: «لقد خَلَقْتُ الدُّنيا وأهلَها لأُعَرِّفَهم كرامَتَكَ عَلَيَّ وَمَنْزِلَتَكَ عندي، ولولاك يا محمّدُ ما خَلَقْتُ الدُّنيا»[6].

ويرى الباحث أنه لابد من حيث المبدأ الإقرار بتحريف كل الأناجيل الموجودة -سواء الأناجيل الأربعة المعترف بها من قِبَل النصارى أنفسهم، أو إنجيل بَارْنَابَا غير المعترف به من قِبَلهم-، وفي الوقت نفسه، لابد من التذكير بتفاوت مكانة الأنبياء في الإسلام، وتفضيل بعضهم على بعض، والقبول به، ونُذَكِّرُ هنا بقول الله -تعالى-: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: 251]. ومع هذا يمكن القول بأنه إذا قُورِنَ بين ما ورد في إنجيل بَارْنَابَا، وهذه الأحاديث الضعيفة والموضوعة يُدْرِكُ الباحث أنها جميعا

1- ينظر: المصدر السابق، ص16.

2- ينظر مقدمة ترجمة وتحقيق إنجيل بَارْنَابَا للدكتور أحمد إيبش، ص 16.

3- ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، **للألباني** (282/1).

4- ينظر: مقدمة ترجمة وتحقيق إنجيل بَارْنَابَا للدكتور أحمد إيبش ص 302، 303.

5- ينظر: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، باب فضائل النبي، **للشوكاني** (19/1).

6- تنزيه الشريعة المرفوعة، **الكناني، ص**325.

مما ورثه المسلمون من الإسرائيليات، أو هي نتيجة ترجمات خاطئة قديما وحديثا للكتاب المقدس؛ فالتحريف والأخطاء في الترجمة موجود فيه من قديم الزمان، وهي محرفة وباطلة، غير أن هناك ازدواجية في التعامل مع ذلك؛ فالنصارى وبعض الباحثين يَقْبَلُونَ ما في التوراة والأناجيل الأربعة المعتمدة عندهم، ويُشَنِّعُونَ على ما في إنجيل بَارْنَابَا حتى ولو وافق ما في الأربعة.

القسم الثاني: يرون أن إنجيل بَارْنَابَا هو الإنجيل الأصلي الذي جاء به عيسى، وقد لحقه بعضٌ من التحريف، لكن نسبة الصواب فيه أكثر من غيره، ولذلك فهم يستدلون بهذا الإنجيل في دعم وجهة نظرهم عن المسيح؛ ففي هذا الإنجيل ما يتفق مع ما جاء في الإسلام من كونه رسولا بشرا وليس إلها، وهو مبشر برسول يأتي من بعده اسمه أحمد. يقول رشيد رضا: «وَفِي إِنْجِيلِ بَارْنَابَا مِنْ تَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ وَالِاسْتِدْلَالِ عَلَيْهِ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ مَا هُوَ جَدِيرٌ بِأَنْ يَكُونَ وَحْيًا صَحِيحًا مِنَ اللهِ -تعالى- إِلَى رَسُولِهِ عِيسَى -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-»[1].

ويرجح الباحث الاستنتاج بأن الخطأ أصلا بدأ في الترجمة الإنجليزية من الإيطالية بالتصرف في المعنى وفق فكرة مسبقة من المترجمين، وأن الخطأ الثاني وقع في الترجمة العربية عن الإنجليزية نتيجة عدم الرجوع إلى الأصلين الإيطالي والإسباني، وأما الخطأ الثالث فقد وقع من خلال الاعتماد على الترجمة العربية التي قام بها الطبيب اللبناني الأرثودوكسي خليل سعادة كونها مثلت -بمقدمتها المطولة- الدراسة العربية النقدية الوحيدة الصادرة حتى يومنا هذا عن إنجيل بَارْنَابَا، وهي التي قام بها خليل سعادة في ترجمته القديمة عام 1908م[2]. وأن جميع الدراسات العربية التي تناولت إنجيل بَارْنَابَا ترجع إلى مصدر أولي وحيد هو الترجمة العربية لنص الزوجين راغ التي قام بها خليل سعادة عن الترجمة الإنجليزية دون الرجوع إلى أصلها الإيطالي؛ فصدرت بمصر عام 1908م بمطبعة مجلة المنار مع مقدمة للسيد محمد رشيد رضا صاحب المجلة، ثم أعيد نشرها ثانية عام 1958م[3]. وبناء على ذلك فإن الراجح في المسألة ضرورة معرفة مدى مصداقية الترجمة الأولى للإنجيل بالإنجليزية عن نسخة فيينا الأم المكتوبة باللغة الإيطالية، وصدرت عن مطبعة كلارن دون برس في أكسفورد عام 1908م[4]. والمخطوطة الإسبانية التي كتبها مصطفي دي آراندا من أميل التابعة لإقليم أرغون بإسبانيا في نسختها الأولى التي كانت بحوزة بعض علماء أوروبا وضاعت، والثانية التي اكتشفت في مكتبة فيشر بسدني[5].

1- ينظر: تفسير المنار (223/7).

2- ينظر: مقدمة ترجمة وتحقيق إنجيل بَارْنَابَا للدكتور أحمد إيبش، ص14.

3- ينظر: المصدر السابق، ص11.

4- ينظر: المصدر السابق، ص11.

5- ينظر: المصدر السابق، ص12.

لذلك كله يرجح الباحث صحة فرضية الدكتور أحمد إيبش ويختار وجهة نظره من كون الخطأ وقع في الترجمة الإنجليزية من الإيطالية؛ فقد تمت الترجمة العربية دون الرجوع إلى الأصلين الإيطالي والإسباني، فأسس هذان الخطآن لخطأ ثالث، وهو قيام الدراسات النقدية العربية لهذه المسألة على دراسة ترجمة عربية قائمة على أخطاء أصلا. أما النسخة التي ترجمها وقدم لها الدكتور أحمد بيش فهي إنجيل بَارْنَابَا المترجم عن أصله القديم إلى اللغة الإيطالية، وهو مثل غيره من الأناجيل لا يخلو من التحريف، لكن نسبة الصواب فيه أكثر من غيره. ويمكن الاستدلال على دعم وجهة النظر هذه كون كثير من نصوصه تتفق مع ما جاء في القرآن والسنة الصحيحة من كون عيسى رسولا بشرا وليس إلها، ولم يُصلَب، وهو مبشِّر برسول يأتي من بعده اسمه أحمد.

المبحث الثاني: بشارات المسيح بنبي الإسلام محمد ﷺ في إنجيل بَارْنَابَا

المطلب الأول: بشارات المسيح بنبي الإسلام محمد ﷺ في إنجيل بَارْنَابَا

جاء في إنجيل بَارْنَابَا: «وَلَمَّا بَلَغَ يَسُوعُ سِنَّ ثَلَاثِينَ عَامًا كَمَا أَخْبَرَنِي هُوَ نَفْسُهُ صَعَدَ إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ مَعَ أُمِّهِ لِيَجْنِيَا زَيْتُونًا، فَفِي وَقْتِ الظَّهِيرَةِ بَيْنَمَا كَانَ يُصَلِّي وَبَلَغَ هَذِهِ الْعِبَارَةَ: «يَارَبِّ بِرَحْمَةٍ ...» إِذَا بِنُورٍ بَاهِرٍ يُحِيقُ بِهِ، وَحَشْدٍ غَفِيرٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَقُولُونَ: «الْمَجْدُ لِلَّهِ». وقَدَّمَ لَهُ الْمَلَاكُ جِبْرِيلُ كِتَابًا كَأَنَّهُ مِرْآةٌ بَرَّاقَةٌ، فَنَزَلَ عَلَى قَلْبِ يَسُوعَ؛ فَبِهِ صَارَ يَعْرِفُ مَا فَعَلَ اللهُ، وَمَا قَالَ اللهُ، وَمَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ، حَتَّى إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ بَاتَ مَكْشُوفًا وَمُنْبَسِطًا أَمَامَهُ، كَمَا قَالَ لِي: «يَا بَارْنَابَا، صَدِّقْ أَنِّي أَعْرِفُ كُلَّ نَبِيٍّ وَكُلَّ نُبَوَّةٍ، وَلِذَلِكَ فكُلَّ مَا أَقُولُهُ إِنَّمَا قَدْ جَاءَ مِنْ ذَاكَ الْكِتَابِ»[1].

وهذا يتفق مع ما جاء في القرآن من أن المسيح عليه السلام عرَفَ الأنبياء، الذين بعثوا قبله، ومن يأتي من بعده منهم، فقد حكى القرآن على لسان عيسى في قوله -تعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: 6]. فالله -تعالى- أنبأ عيسى عليه السلام بأسماء من قبله من الأنبياء، وبمن بعده منهم، وهو محمد ﷺ، وهذه عقيدة صحيحة؛ لأن عيسى إنسان لا يعلم الغيب، ولا يستطيع أن يُبَشِّرَ بمحمد لولا أن جبريل عليه السلام نَزَلَ عليه بالكتاب، المسمى بالتوراة الذي أنزل على موسى، والزبور الذي أنزل على داود، والإنجيل الذي أنزل على عيسى وأخبر بنبوة محمد ﷺ، فما جاء في إنجيل بَارْنَابَا من أن الْمَلاكَ جبريل قَدَّمَ كتابا لعيسى يتوافق تماما مع حقيقة الوحي، وأن جبريل عليه السلام هو المكلف بالوحي في جميع الكتب السماوية دون استثناء.

وفي الفصل السابع عشر يَرِدُ قوله: «أَجَابَ فِيلِبُّسُ: «يَا سَيِّد مَاذَا تَقُولُ؟ إِنَّهُ بِوَجْهِ التَّأْكِيدِ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ إِشَعْيَاءَ أَنَّ اللهَ أَبُونَا، فَكَيْفَ أَنَّهُ لَمْ يَلِدِ الْبَنِينَ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «فِي أَسْفَارِ الْأَنْبِيَاءِ مَكْتُوبٌ أَمْثَالٌ كَثِيرَةٌ يَنْبَغِي أَلَّا تَأْخُذَهَا بِحَرْفِيَّهَا بَلْ بِمَغْزَاهَا؛ ذَلِكَ أَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ الْبَالِغِينَ مِئَةً وَأَرْبَعَةً وَأَرْبَعِينَ أَلْفًا[2] وَالَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ اللهُ إِلَى

1- بَارْنَابَا، الفصل: 10، ص100.

2- لم يحدد القرآن الكريم عددهم، قال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: 78]. وفي السنة النبوية -كما في صحيح ابن حبان- عن أبي ذر أن عدد الأنبياء مائة وعشرون ألفا منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولا. ينظر: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (76/2).

الدُّنْيَا قَدْ تَكَلَّمُوا بِمُعَمِّيَاتِ الرُّمُوزِ، وَلَكِنْ سَيَجِيءُ مِنْ بَعْدِي بَهَاءُ كُلِّ الْأَنْبِيَاءِ الْقِدِّيسِينَ، فَيُشْرِقُ نُوراً عَلَى مُعَمِّيَاتِ سَائِرِ مَا قَالَ الْأَنْبِيَاءُ؛ لِأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ»[1].

وهذا يتفق مع قوله -تعالى-: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: 1-4]. وقوله -تعالى-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: 174]. فقد سمى الله نبيه نورا، وسمى كتابه نورا، فقال -تعالى- مخاطبا أهل الكتاب: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝١٥ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٦﴾ [المائدة: 16، 17].

فما ورد في إنجيل بَارْنَابَا بشارة واضحة بمحمد ﷺ، وأنه إذا كان الأنبياء قبله قد اضطروا أثناء دعوتهم إلى التبليغ الْمُوحَى بالرموز، أو بالإشارات؛ فإن محمدا ﷺ سيأتي ويضيء كل ما غمض وصعب تفسيره، وهو ما حدث فعلا؛ فقد جاءت شريعة الإسلام -قرآنا وسنة- مفهومة كل الفهم لدى كافة الناس.

وفي الفصل الخامس والثلاثين يقول بَارْنَابَا: «أَجَابَ يَسُوعُ: لَمَّا خَلَقَ اللهُ كُتْلَةً مِنَ تُرَابٍ وَتَرَكَهَا خَمْسَةً وَعِشْرِينَ أَلْفَ سَنَةٍ دُونَ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا آخَرَ، نَمَى إِلَى عِلْمِ الشَّيْطَانِ -الَّذِي كَانَ بِمَثَابَةِ كَاهِنٍ وَرَئِيسٍ لِلْمَلَائِكَةِ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قُدْرَةِ الْفَهْمِ الْفَائِقَةِ- أَنَّ اللهَ كَانَ يَنْوِي أَنْ يَأْخُذَ مِنْ تِلْكَ الْكُتْلَةِ مِئَةً وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعَةَ آلَافٍ[2] مَوْسُومِينَ بِسِمَةِ النُّبُوَّةِ، وَرَسُولَ اللهِ الَّذِي خَلَقَ اللهُ رُوحَهُ بِسِتِّينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ آخَرَ سِوَاهُ، وَلِذَلِكَ لَمَّا سَخِطَ الشَّيْطَانُ أَغْوَى الْمَلَائِكَةَ قَائِلًا: «دُونَكُمْ فَانْظُرُوا، يَوْمًا مَا سَوْفَ يَشَاءُ اللهُ بِأَنْ نَسْجُدَ لِهَذَا التُّرَابِ، فَتَبَصَّرُوا فِي أَنَّنَا رُوحٌ وَلَا يَلِيقُ بِنَا فِعْلُ ذَلِكَ». لِذَلِكَ تَخَلَّى كَثِيرُونَ عَنِ اللهِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ قَالَ اللهُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لَمَّا الْتَأَمَ جَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ: «كُلُّ مَنِ اتَّخَذَنِي لِنَفْسِهِ رَبًّا فَلْيَسْجُدْ فَوْرًا لِهَذَا التُّرَابِ، فَأَمَّا الَّذِينَ أَحَبُّوا اللهَ فَقَدْ خَرُّوا سَاجِدِينَ، وَأَمَّا الشَّيْطَانُ وَالَّذِينَ كَانُوا عَلَى شَاكِلَتِهِ فَقَالُوا يَا رَبِّ إِنَّنَا مِنْ رُوحٍ وَلِذَلِكَ فَلَيْسَ عَدْلًا أَنْ نَسْجُدَ لِهَذَا الطِّينِ»[3].

فهذه الفقرة تشير لاصطفاء الله -تعالى- المسبق لأنبيائه، ولمحمد ﷺ، وهو يتفق مع ما ورد في القرآن، قال -تعالى-: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ

1- بَارْنَابَا، الفصل: 17، ص113-114.

2- يعلق المحقق على هذه العبارة بقوله: كذا ترد العبارة في الأصل، والمقصود بها مئة وأربعة وأربعون ألفا كما تقدم في الفصل 17 حول عدد الأنبياء المرسلين إلى الدنيا يقابل هذا برؤيا يوحنا 7: 4. ينظر الدكتور إيبش، ص156.

3- بَارْنَابَا، الفصل: 35، ص156.

لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧١﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٢﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٣﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ [ص: 70-78].

وفي الفصل السادس والثلاثين يقول بَارْنَابَا: «حِينَئِذٍ قَالَ يَسُوعُ: الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مِنْ لَا يُصَلِّي فَهُوَ شَرٌّ مِنَ الشَّيْطَانِ وَبِهِ يَحِلُّ عَذَابٌ أَعْظَمُ؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ قَبْلَ سُقُوطِهِ لَمْ يَكُنْ أَمَامَهُ عِبْرَةٌ بِالْخَوْفِ، وَلَمْ يَعْمَد اللهُ إِلَى إِرْسَالِ أَيِّ نَبِيٍّ إِلَيْهِ يَدْعُوهُ إِلَى التَّوْبَةِ، أَمَّا الْإِنْسَانُ وَقَدْ جَاءَ الْأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ إِلَّا رَسُولَ اللهِ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي؛ لِأَنَّ هَذَا مَا يَشَاؤُهُ اللهُ وَحَتَّى أُهَيِّئَ طَرِيقَهُ»[1].

فهنا تبدو الإشارة واضحة إلى رسالة محمد ﷺ، فقد أشار المسيح عليه السلام إلى مجيء الأنبياء جميعا قبله، إلا رسول الله محمدا ﷺ فسيأتي بعده؛ لأن الله -تعالى- يريد ذلك، ويحدد المسيح عليه السلام أن مهمته هي تهيئة الطريق أمام الرسول القادم الخاتم وهو محمد ﷺ، وذلك يتفق مع ما جاء في القرآن على لسان المسيح، في قول الله -تعالى-: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: 6] .

وفي الفصل التاسع والثلاثين يقول بَارْنَابَا: «فَلَمَّا اسْتَوَى آدَمُ عَلَى قَدَمَيْهِ رَأَى فِي الْهَوَاءِ كِتَابَةً تَتَأَلَّقُ كَالشَّمْسِ نَصُّهَا: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»، عِنْدَهَا فَتَحَ آدَمُ فَاهُ وَقَالَ: أَشْكُرُكَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهِي أَنَّكَ تَفَضَّلْتَ فَخَلَقْتَنِي، وَلَكِنْ أَنْبِئْنِي -أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ- بِمَعْنَى هَذِهِ الْعِبَارَةِ: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ» هَلْ كَانَ ثَمَّةَ بَشَرٌ قَبْلِي؟ فَقَالَ اللهُ: مَرْحَبًا بِكَ يَا عَبْدِي آدَم، أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ أَوَّلُ إِنْسَانٍ خَلَقْتُ، وَمَنْ رَأَيْتَهُ [مُذْكُورًا] إِنَّمَا هُوَ ابْنُكَ الَّذِي سَيَأْتِي إِلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بَعْدَ سِنِينَ عَدِيدَةٍ مِنَ الْآنَ، فَيَكُونُ رَسُولِي الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقْتُ كُلَّ شَيْءٍ، الَّذِي سَتُضِيءُ بِنُورِهِ الدُّنْيَا مَتَى جَاءَ، الَّذِي مَا بَرِحَتْ رُوحُهُ مَبْثُوثَةً فِي بَهَاءِ سَمَاوِيٍّ بِسِتِّينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَبْلَ أَنْ أَخْلُقَ شَيْئًا. فَتَضَرَّعَ آدَمُ إِلَى اللهِ قَائِلًا: يَا رَبِّ، هَبْنِي هَذِهِ الْكِتَابَةَ عَلَى أَظَافِرِ أَصَابِعِ يَدَيَّ، فَمَنَحَ اللهُ الْإِنْسَانَ الْأَوَّلَ عَلَى إِبْهَامَيْهِ تِلْكَ الْكِتَابَةَ، عَلَى ظُفْرِ إِبْهَامِ الْيَدِ الْيُمْنَى مَا نَصُّهُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَعَلَى ظُفْرِ إِبْهَامِ الْيَدِ الْيُسْرَى مَا نَصُّهُ: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ»، فَبِحُنُوٍّ

1- بَارْنَابَا، الفصل: 36. ص 158.

أَبَوَيّ قَبَّلَ الْإِنْسَانُ الْأَوَّلُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَمَسَحَ عَلَى عَيْنَيْهِ[1]، وقَالَ: بُورِكَ ذَاكَ الْيَوْمَ الَّذِي تُبْعَثُ فِيهِ إِلَى الْعَالَمِ»[2].

وفي الفصل الحادي والأربعين يتناول إنجيل بَارْنَابَا قصة الطرد من الجنة فيرد قوله: «وَقَالَ اللهُ لِآدَمَ وَحَوَّاءَ اللَّذَيْنِ كَانَا يَنْتَحِبَانِ: «اخْرُجَا مِنَ الْجَنَّةِ وَاجْتَهِدَا فِي التَّكْفِيرِ عَنْ حَوْبِكُمَا وَلَا يَهِنْ لَكُمَا رَجَاءٌ فَإِنِّي مُرْسِلٌ ابْنَكُمَا بِحَيْثُ تَجُبُّ ذُرِّيَّتُكُمَا سُلْطَةَ الشَّيْطَانِ عَنْ بَنِي الْبَشَرِ، فَإِنِّي سَأُعْطِي كُلَّ شَيْءٍ لِلْآتِي، لِرَسُولِي». فَاحْتَجَبَ اللَّهُ [عَنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ]، وَقَامَ الْمَلَاكُ مِيخَائِيلُ بِطَرْدِهِمَا مِنْ الْجَنَّةِ، فَلَمَّا الْتَفَتَ آدَمُ رَأَى مَكْتُوباً فَوْقَ الْبَابِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ»، فَبَكَى وَقَالَ: «عَسَى أَنْ يَرْضَى اللهُ يَا وَلَدِي أَنْ تَأْتِيَ قَرِيبًا وَتُخَلِّصَنَا مِنْ هَذَا الشَّقَاءِ»[3].

فهذه الأمور الغيبية التي حصلت مع آدم عليه السلام لا يمكن أن يخبر عنها المسيح عليه السلام ما لم يكن قد أوحي إليه بها، وهناك كثير من الأحاديث والروايات الإسلامية تشير إلى كثير من هذه الغيبيات، وهذا يدلنا على ربط إنجيل

1- نشير في هذا السياق إلى حَدِيث منتشر بين العامة: تتبّعه العجلوني في كشف الخفاء (243/2)، والسخاويُّ في المقاصد (ص604)، وذكره الحطاب في مواهب الجليل لشرح مختصر خليل (101/2)، وذكره الدَّيلميُّ فِي الْفِرْدَوْسِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أَنَّهُ لَمَّا سَمِعَ قول المؤذن: «أشهد أن محمداً رَسُولُ اللَّه» قَالَ هَذَا، وَقَبَّلَ بَاطِنَ الْأُنْمُلَتَيْنِ السَّبَّابَتَيْنِ وَمَسَحَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ ﷺ: «مَنْ فَعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلَ خَلِيلِي فَقَدْ حَلَّتْ عَلَيْهِ شَفَاعَتِي». قال السخاوي في المقاصد: لا يصح. ونقل العجلوني عن الملّا علي القاري قوله: وإذا ثبت رفعه إلى الصدّيق فيكفي العمل به لقوله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي». وما ذكره القاري صحيح؛ لكنه لا أصل له عن الصدّيق؛ فلا تجوز نسبته إليه، ولا العمل به. كذا لا يصح ما رواه أبو العباس الرداد اليماني المتصوف في كتابه (موجبات الرحمة وعزائم المغفرة) بسند فيه مجاهيل مع انقطاعه عن الخضر أنه قال: «من قال حين يسمع المؤذن يقول: «أشهد أن محمدا رسول الله»: مرحبا بحبيبي وقرة عيني محمد بن عبد الله ﷺ، ثم يقبل إبهاميه ويجعلهما على عينيه؛ لم يعْمَ ولم يرمد أبدًا». ثم روي بسند فيه من لم يُعرف عن الفقيه محمد بن البابا فيما حكى عن نفسه: «أنه هبت ريح فوقعت منه حصاة في عينه، فأعياه خروجها، وآلمته أشد الألم، وأنه لما سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال ذلك، فخرجت الحصاة من فوره» قال الرداد: وهذا يسير في جنب فضائل الرسول ﷺ. وحكى الشمس محمد بن صالح المدني في تاريخه عن أحد القدماء من المصريين أنه سمعه يقول: من صلّى على النبي ﷺ إذا سمع ذكره في الأذان وجمع أصبعيه المسبحة والإبهام وقبلهما ومسح بهما عينيه لم يرمد أبدا. قال ابن صالح: وسمعت ذلك أيضا من الفقيه محمد بن الزرندي عن بعض شيوخ العراق أو العجم أنه يقول عندما يمسح عينيه: «صلى الله عليك يا سيدي، يا رسول الله، يا حبيب قلبي، ويا نور بصري، ويا قرة عيني» وقال لي كل منهما: منذ فعله لم ترمد عيني، قال ابن صالح: وأنا ولله الحمد والشكر منذ سمعته منهما استعملته فلم ترمد عيني، وأرجو أن عافيتهما تدوم وأني أسلم من العمى إن شاء الله. قال وروي عن الفقيه محمد بن سعيد الخولاني قال: أخبرني الفقيه العالم أبو الحسن علي بن محمد بن حديد الحسيني أخبرني الفقيه الزاهد البلالي عن الحسن أنه قال: من قال حين يسمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله: «مرحبا بحبيبي وقرة عيني محمد بن عبد الله ﷺ، ويقبل إبهاميه ويجعلهما على عينيه؛ لم يصبه العمى ولم يرمد» وقال الطاوسي: إنه سمع من الشمس محمد بن أبي نصر البخاري خواجه الحديث، فمن قال عند المس: اللّهم احفظ حدقتي ونورهما ببركة حدقتي محمد ﷺ ونورهما لم يعم. قال السخاوي في المقاصد: لا يصح في المرفوع من كل هذا شيء؛ بل كله مختلق موضوع.

2- بَارْنَابَا، الفصل: 39. ص 164، 165.

3- بَارْنَابَا، الفصل: 41. ص 169، 170.

بَارْنَابَا بداية الخلق بأمر الله وإرادته وارتباطه بخلق رسول الله ﷺ، وكذلك ربط الأمر الإلهي المسبق ببعثة خاتم الأنبياء، وهذا يتفق مع قوله -تعالى-: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: 34-36].

وفي الفصل الثاني والأربعين ورد قوله: «عِنْدَهَا بَكَى التَّلَامِيذُ بَعْدَ هَذَا الْخِطَابِ كَمَا طَفِقَ يَسُوعُ يَبْكِي، وَإِذَا بِهِمْ يُبْصِرُونَ أُنَاسًا كَثِيرِينَ جَاؤُوا يُفَتِّشُونَ عَنْهُ، ذَلِكَ أَنَّ رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ تَشَاوَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ لِلْإِيقَاعِ بِهِ مِنْ خِلَالِ كَلَامِهِ؛ فَلِهَذَا أَرْسَلُوا اللَّاوِيِّين، وَبَعْضَ الْكَتَبَةِ يَسْأَلُونَهُ قَائِلِينَ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقَرَّ يَسُوعُ وَصَدَعَ بِالْحَقِّ قَائِلًا: إِنِّي لَسْتُ الْمَسِيَّحَ، قَالُوا: أَأَنْتَ إِيلِيَاءُ أَوْ يَرْمِيَّا، أَوْ أَحَدُ الْأَنْبِيَاءِ الْقُدَمَاءِ؟ أَجَابَ يَسُوعُ: «كَلَّا». فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قُلْ، لِنَشْهَدَ أَمَامَ الَّذِينَ أَرْسَلُونَا، فَأَجَابَ يَسُوعُ: أَنَا صَوْتٌ صَارِخٌ فِي الْيَهُودِيَّةِ كُلِّهَا، يَصِيحُ: أَعِدُّوا طَرِيقَ رَسُولِ الرَّبِّ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي يَشَعْيَاءَ»[1].

ويعلق صاحب تفسير المنار على قوله: «فَلِهَذَا أَرْسَلُوا اللَّاوِيِّينَ وَبَعْضَ الْكَتَبَةِ يَسْأَلُونَهُ» فيقول: سَأَلَ أَجْدَادُهم عَنْهُ يَحْيَى (يُوحَنَّا) عليه السلام. فَفِي أَوَائِلِ الْإِنْجِيلِ الرَّابِعِ: إِنَّ الْيَهُودَ أَرْسَلُوا كَهَنَةً وَلَاوِيِّينَ فَسَأَلُوا يُوحَنَّا: أَأَنْتَ الْمَسِيحُ؟ قَالَ: لَا. أَأَنْتَ إِيلِيَا؟ قَالَ: لَا. أَأَنْتَ النَّبِيُّ؟ قَالَ: لَا، وَهَذَا هُوَ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ الْعَرَبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي لَمْ يَتَعَلَّمْ شَيْئًا -وَهُوَ يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ- أَيِ انْقِطَاعٍ– مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ عَهْدٍ عَلَى الْوَحْيِ- جَمِيعَ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ، وَمَا يَصْلُحُ بِهِ أَمْرُ دُنْيَاكُمْ مِنَ الْعَقَائِدِ الْحَقِّ الَّتِي أَفْسَدَتْهَا عَلَيْكُمْ نَزَغَاتُ الْوَثَنِيَّةِ، وَالْأَخْلَاقُ وَالْآدَابُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي أَفْسَدَهَا عَلَيْكُمُ الْإِفْرَاطُ وَالتَّفْرِيطُ فِي الْأُمُورِ الْمَادِّيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ، وَالْعِبَادَاتُ وَالْأَحْكَامُ، الَّتِي تَصْلُحُ بِهَا أُمُورُكُمُ الشَّخْصِيَّةُ وَالِاجْتِمَاعِيَّةُ؛ فَتَرَكَ التَّصْرِيحَ بِمَفْعُولِ (يُبَيِّنُ لَكُمْ) لِإِفَادَةِ الْعُمُومِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ مَا بَيَّنَهُ لَكُمْ مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ؛ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْكُمْ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ رَسُولًا مِنْ عِنْدِ اللهِ -تعالى- لَمَا عَرَفَ هَذَا وَلَا ذَاكَ، مِمَّا تَقَاصَرَتْ عَنْهُ عُلُومُ أَحْبَارِكُمْ وَرُهْبَانِكُمْ وَحُكَمَائِكُمْ وَسَاسَتِكُمْ، جَاءَ رَسُولُنَا مُحَمَّدٌ يُبَيِّنُ لَكُمْ كُلَّ هَذَا؛ لِيَقْطَعَ مَعْذِرَتَكُمْ، وَيَمْنَعَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. يقول الله -تعالى-: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ

1- بَارْنَابَا، الفصل: 42. ص170.

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: 21]. أي يُبَشِّرُنَا بِحُسْنِ عَاقِبَةِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ الْمُتَّقِينَ، وَيُنْذِرُنَا وَيُخَوِّفُنَا سُوءَ عَاقِبَةِ الْمُفْسِدِينَ الضَّالِّينَ الْمَغْرُورِينَ[1].

وفي السياق نفسه ورد فيه: «قَالُوا: إِنْ لَمْ تَكُنْ الْمَسِيحَ وَلَا إِيلِيَّاءَ، وَلَا أَيَّ نَبِيٍّ، فَلِمَاذَا تَدْعُو إِلَى عَقِيدَةٍ جَدِيدَةٍ، وَتَجْعَلُ نَفْسَكَ أَعْظَمَ شَأْنًا مِنَ الْمَسِيحِ؟ أَجَابَ يَسُوعُ: إِنَّ الْآيَاتِ الَّتِي يَعْمَلُهَا اللهُ عَلَى يَدَيَّ تَدُلُّ عَلَى أَنِّي أَتَكَلَّمُ بِمَا يُرِيدُهُ اللهُ، وَلَسْتُ أَجْعَلُ نَفْسِي نَظِيرَ مَنْ عَنْهُ تَتَكَلَّمُونَ: فَأَنَا لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحِلَّ شِكَالَ جَوْرَبَ أَوْ سُيُورَ حِذَاءَ رَسُولِ اللهِ الَّذِي تُسَمُّونَهُ مَسِيَّحَ الَّذِي خُلِقَ قَبْلِي وَسَيَأْتِي بَعْدِي، وَسَيَأْتِي بِكَلَامِ الْحَقِّ، فَلَا يَكُونُ لِدِينِهِ خَاتِمَةٌ»[2].

ويعلق الدكتور أحمد إيبش على هذا النص بأن الجواب على هذا النحو ينسب في إنجيل يوحنا ومَتَّى إلى يوحنا المعمدان (النبي يحيى بن زكريا عليه السلام أنه قاله عن المسيح عليه السلام)، ولذا لسنا نرى في إنجيل بَارْنَابَا ذكرا ليوحنا المعمدان، باعتباره كان رسولا مُقَدَّمًا للمسيح، بل إن المسيح عليه السلام كان هو نقطة الفصل ما بين نبوات أنبياء بني إسرائيل ونبوة سيدنا محمد[3].

وهذه الصفات توجد أيضا في كثير من النبوءات لدى أشعيا وأرميا وغيرهما من أنبياء بني إسرائيل، وكلمة مسيا تتردد كثيراً في التوراة وكذلك الإنجيل، وهي ترتبط لدى اليهود بالمسيح المنتظر الذي يأتي في آخر الزمان، ويعيد مجد اليهود حسب ما يزعمون.

وفي الفصل الثالث والأربعين يبشر المسيح عليه السلام بمحمد ﷺ؛ لأن التلاميذ طلبوا منه أن يصرح لهم به، فصرح لهم بما يعلن حقيقته، ويبين ما له من شأن، فيقول: «وَهَكَذَا لَمَّا شَاءَ اللهُ أَنْ يَعْمَلَ، فَقَدْ خَلَقَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ نَفْسَ رَسُولِهِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ نَوَى خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ؛ لِكَيْ تَأْنَسَ الْخَلَائِقُ فِي اللهِ بَهْجَةً وَبَرَكَةً، كَمَا يُسَرُّ رَسُولُهُ بِخَلَائِقِهِ كُلِّهَا الَّتِي قُدِّرَ لَهَا أَنْ تَكُونَ لَهُ أَتْبَاعًا»[4].

ويقول في الفصل نفسه: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ نَبِيٍّ مَتَى بُعِثَ فَإِنَّمَا يَحْمِلُ لِأُمَّةٍ وَاحِدَةٍ فَحَسْبُ عَلَائِمَ الرَّحْمَةِ مِنَ اللهِ، فَلِذَلِكَ لَمْ يَتَجَاوَزْ كَلَامُهُمْ الشَّعْبَ الَّذِي بُعِثُوا إِلَيْهِ، أَمَّا رَسُولُ اللهِ فَمَتَى جَاءَ فَإِنَّ اللهَ يُعْطِيهِ مَا هُوَ بِمَثَابَةِ خَاتَمِ يَدِهِ، بِحَيْثُ يَحْمِلُ خَلَاصاً وَرَحْمَةً لِأُمَمِ الْأَرْضِ كَافَّةً الَّتِي تَتَبَلَّغُ دِينَهُ وَهُوَ يَأْتِي بِسَطْوَةٍ عَلَى

1- ينظر تفسير المنار (263/6).
2- بَارْنَابَا، الفصل: 42، ص 170، 171.
3- ينظر: بَارْنَابَا، ص 171.
4- بَارْنَابَا، الفصل: 43، ص 173، 174.

الظَّالِمِينَ، فَيُبِيدُ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَيُخْزِي الشَّيْطَانَ؛ لِأَنَّهُ هَكَذَا وَعَدَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ قَائِلًا: هَا هُوَ فِي ذُرِّيَّتِكَ أُبَارِكُ جَمِيعَ قَبَائِلَ الْأَرْضِ، وَكَمَا كَسَّرْتَ الْأَصْنَامَ كُلَّ مُمَزَّقٍ يَا إِبْرَاهِيمُ فَكَذَلِكَ ذُرِّيَّتُكَ تَفْعَلُ»[1].

فهذا النص يتفق مع ما ورد في القرآن؛ فقول الإنجيل بِأَنَّ كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، ولا يتجاوز كلامه إلى غيرهم من الشعوب- هو عين ما نص عليه القرآن من أَنَّ كل نبي يبعث لقومه خاصة إلا محمدا ﷺ فيبعث للعالمين كافة، وبشارة الإنجيل بأن محمدا ﷺ يحمل خلاصاً ورحمة لأمم الأرض يتطابق مع ما جاء في القرآن في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: 5]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَـٰكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء: 106]. فكل الأنبياء واجهوا الظالمين، ولكنهم كانوا ضعفاء أمامهم، ولولا تأييد الله لهم بالمعجزات لما نجوا منهم، وهذا يذكرنا بأقوام هود وصالح ولوط وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء. وما جاء في إنجيل بَارْنَابَا على لسان المسيح من أن الْمُبَشَّرَ به سيأتي بقوة على الظالمين، فإن المقصود أوسع بكثير من الفهم الأولي؛ لأن محمد ﷺ جاء بقوة عليهم، فحاربهم بكل أشكال الحرب حتى انتصر على الظلم والظالمين، وقد مات ﷺ مطمئناً قرير العين؛ لأن الإسلام قد عمّ الجزيرة، وبدأت دعوته تنتقل إلى بقاع الأرض المتعددة.

ويؤكد البشارة بمحمد ﷺ ما جاء في إنجيل بَارْنَابَا من أن الْمُبَشَّرَ به يبيد عبادة الأصنام، فإن الأنبياء الذين جاؤوا قبله لم يستطيعوا إبادة عبادة الأصنام -على الرغم من طول أعمار بعضهم واستمرار دعوتهم- لكن المسلمين عندما انتصروا على كفار قريش أبادوا الأصنام في مكة وما حولها، وكان هدف الإسلام الأول إزالة عبادة الأصنام والدعوة إلى عبادة الإله الواحد الأحد في كافة أرجاء العالم. وعندما يورد إنجيل بَارْنَابَا وعد الله لإبراهيم بأنه مثلما حطم الأصنام فإن إبادتها ستتم أيضاً على يد نسله، ولو تتبعنا الأنبياء الذين يبيدون الأصنام وعبادتها لوجدناهم من نسل إبراهيم، وبخاصة محمد ﷺ الذي حطم عبادة الأصنام وقضى عليها في الجزيرة العربية وخارجها. ويؤكد هذا ما ورد في سفر زكريا، فقد جاء فيه: «وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ، إِنِّي أَقْطَعُ أَسْمَاءَ الأَصْنَامِ مِنَ الأَرْضِ فَلاَ تُذْكَرُ بَعْدُ، وَأُزِيلُ الأَنْبِيَاءَ أَيْضًا وَالرُّوحَ النَّجِسَ مِنَ الأَرْضِ. وَيَكُونُ إِذَا تَنَبَّأَ أَحَدٌ بَعْدُ أَنَّ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، وَالِدَيْهِ، يَقُولاَنِ لَهُ: لاَ تَعِيشُ لأَنَّكَ تَكَلَّمْتَ بِالْكَذِبِ بِاسْمِ الرَّبِّ. فَيَطْعَنُهُ أَبُوهُ وَأُمُّهُ»[2].

1- بَارْنَابَا، الفصل: 43، ص 174.

2- سفر زكريا: 2/13، 3.

وفي الفصل الرابع والأربعين يبشر عيسى بأن العهد لم يبرم لإسحاق، بل لإسماعيل ومن بعده لمحمد ﷺ: «أَجَابَ يَعْقُوبُ: «يَا مُعَلِّمُ أَنْبِئْنَا بِمَنْ أُبْرِمَ هَذَا الْعَهْدُ؟ فَإِنَّ الْيَهُودَ يَقُولُونَ «بِإِسْحَقَ» وَالإِسْمَاعِيلِيُّونَ يَقُولُونَ «بِإِسْمَاعِيلَ». أَجَابَ يَسُوعُ: «دَاوُدُ كَانَ ابْنَ مَنْ وَمِنْ أَيِّ ذُرِّيَّةٍ؟» أَجَابَ يَعْقُوبُ: «مِنْ إِسْحَقَ، فَإِنَّ إِسْحَقَ كَانَ أَبَا يَعْقُوبَ، وَيَعْقُوبُ كَانَ أَبَا يَهُوذَا الَّذِي مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدُ». فَقَالَ يَسُوعُ: «وَرَسُولُ اللهِ عِنْدَمَا يَجِيءُ، فَهُوَ [إِذًا] مِنْ ذُرِّيَّةِ مَنْ يَكُونُ؟» أَجَابَ التَّلَامِيذُ: «مِنْ دَاوُدَ». عِنْدَ ذَلِكَ قَالَ يَسُوعُ: «أَخْطَأْتُمُ الْقَوْلَ؛ فَدَاوُدُ فِي الرُّوحِ يُسَمِّيهِ رَبًّا، إِذْ قَالَ هَكَذَا: ... فَإِذَا كَانَ رَسُولُ اللهِ الَّذِي تُسَمُّونَهُ الْمَسِيَّحَ ابْنًا لِدَاوُدُ، فَكَيْفَ يَدْعُوهُ دَاوُدُ رَبًّا؟ صَدِّقُونِي، فَإِنِّي حَقًّا أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ الْعَهْدَ أُبْرِمَ بِإِسْمَاعِيلَ لَا بِإِسْحَقَ»[1].

فهذا النص يدل على تحريف اليهود للتوراة، فقد جعلوا إرث إبراهيم من حق إسحاق فقط دون إسماعيل، على الرغم من كل ما بشرت به كتبهم، سواء بالصراحة، أو بالرمز والإيماء، كما في إنجيل بَارْنَابَا، فأصروا على أن الْمَسِيّح المبشر به هو من بني إسحاق، لكن الحقيقة تثبت أنه من ذرية إسماعيل، مما يعني أنهم لم يفهموا كثيرا من نبوءات المسيح، بدءا بالتلاميذ، وانتهاء بالكتّاب والشرّاح والباحثين.

وفي الفصل الرابع والأربعين يخالف إنجيل بَارْنَابَا كذلك العقيدة اليهودية والعقيدة المسيحية ويتفق مع أرجح الآراء عند المسلمين فيما ينقله عن المسيح بشأن الذبيح، فيقرر أنه إسماعيل وليس إسحاق، كما هو مذكور في التوراة، قال التلاميذ لعيسى: «يَا مُعَلِّمُ إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ مُوسَى أَنَّ الْعَهْدَ إِنَّمَا أُبْرِمَ بِإِسْحَقَ» أَجَابَ يَسُوعُ مُتَأَوِّهًا: «هَكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ، وَلَكِنْ لَمْ يَكْتُبْهُ مُوسَى، وَلَا يَشُوعُ، بَلْ كَتَبَهُ أَحْبَارُنَا الَّذِينَ لَا يَخَافُونَ اللهَ، الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ، إِذَا أَمْعَنْتُمُ النَّظَرَ فِي كَلَامِ الْمَلَاكِ جِبْرِيلَ تَعْلَمُونَ خُبْثَ كَتَبَتِنَا وَفُقَهَائِنَا؛ إِذْ قَالَ الْمَلَاكُ: «يَا إِبْرَاهِيمُ، الْعَالَمُ كُلُّهُ سَيَعْرِفُ كَمْ يُحِبُّكَ اللهُ، وَلَكِنْ كَيْفَ يَعْرِفُ الْعَالَمُ الْمَحَبَّةَ الَّتِي تُكِنُّهَا أَنْتَ للهِ؟ حَتْمًا إِنَّهُ لِزَامًا عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا لِأَجْلِ مَحَبَّةِ اللهِ» فَأَجَابَ إِبْرَاهِيمُ: «هَا هُوَ ذَا عَبْدُ اللهِ جَاهِزٌ أَنْ يَفْعَلَ كُلَّ مَا يَشَاءُ اللهُ». فَتَكَلَّمَ اللهُ حِينَئِذٍ مُخَاطِبًا إِبْرَاهِيمَ: «خُذِ ابْنَكَ الْبِكْرَ إِسْمَعِيلَ، وَاصْعَدِ الْجَبَلَ لِتُقَدِّمَهُ ذَبِيحَةً». فَكَيْفَ يَكُونُ إِسْحَقُ الْبِكْرُ وَهُوَ لَمَّا وُلِدَ كَانَ عُمرُ إِسْمَعِيلَ سَبْعَ سِنِينَ؟» فَقَالَ التَّلَامِيذُ عِنْدَئِذٍ: «وَاضِحٌ تَدْلِيسُ حُكَمَائِنَا، لِذَلِكَ أَنْبِئْنَا أَنْتَ بِالْحَقِّ؛ لِأَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّكَ مُرْسَلٌ مِنَ اللهِ». فَأَجَابَ يَسُوعُ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْهَدُ دَائِمًا لِتَعْطِيلِ شَرَائِعِ اللهِ... «لذلك أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ بَهَاءٌ سَيُضْفِي السُّرُورَ عَلَى كُلِّ مَا خَلَقَ اللهُ تَقْرِيباً؛ لِأَنَّهُ مُحَلًّى بِرُوحِ الْفَهْمِ وَالْمَشُورَةِ، وَرُوحِ الْحِكْمَةِ وَالْقُوَّةِ، وَرُوحِ التَّقْوَى وَالْمَحَبَّةِ، وَرُوحِ التَّبَصُّرِ وَالاعْتِدَالِ، وَمُحَلًّى بِرُوحِ الْإِحْسَانِ وَالرَّحْمَةِ، رُوحِ الْعَدْلِ وَالرَّأْفَةِ، رُوحِ اللُّطْفِ وَالْحِلْمِ، الَّتِي نَالَ مِنَ اللهِ مِنْهَا ثَلَاثَةَ أَضْعَافِ مَا أَعْطَى لِسَائِرِ خَلِيقَتِهِ، يَا لَسَعَادَةِ الزَّمَانِ الَّذِي يَأْتِي فِيهِ إِلَى الدُّنْيَا، صَدِّقُونِي أَنِّي رَأَيْتُهُ، وَقَدَّمْتُ لَهُ الاحْتِرَامَ كَمَا

[1]- الفصل 43، ص 174، 175.

رَآهُ كُلُّ نَبِيٍّ؛ لِأَنَّ مِنْ رُوحِهِ يَهَبُهُمْ اللهُ النُّبُوَّةَ، وَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَفْعَمَتْ نَفْسِي بِالْعَزَاءِ وَانْبَرَتْ قَائِلَةً: «يَا مُحَمَّدُ، لِيَكُن اللهُ مَعَكَ، وَلِيَجْعَلَنِي أَهْلًا أَنْ أُحِلَّ سَيْرَ حِذَائِكَ[1]؛ لِأَنِّي لَوْ نِلْتُ هَذَا لَغَدَوْتُ نَبِيًّا عَظِيمًا وَقُدُّوسًا للهِ»[2].

ويمكننا القول بأنه بالمقارنة بين هذا النص وما ورد في إنجيل مرقس الذي ورد فيه ما نصه: «يَأْتِي بَعْدِي مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَنْحَنِيَ وَأَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ»، وحيث إن إنجيل مرقس معترف به من الكنيسة؛ فلماذا الاعتراض على النص نفسه في إنجيل بَارْنَابَا، وبخاصة أن نص بَارْنَابَا ذكر وجود عدة صفات فيه تحلى بها رسول الله ﷺ، وقد جاء مثل هذه الصفات في آيات القرآن؛ فالرسول ﷺ الكامل في خَلْقِهِ وَخُلُقِهِ، وهو الحكيم والتقي والصبور والرحيم بأمته، والقوي على الظالمين، وهو المعتدل والمتبصر والمُشَاوِرُ، فليس فظًّا، ولا غليظ القلب، وهو على خلق عظيم، فقد كان خلقه القرآن، وبُعث ليتمّم محارم الأخلاق، وهو المثل الأعلى في كل شيء، قال -تعالى-: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159]، وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

وفي الْفَصْل الثَّانِي وَالسَّبْعِينَ يُعلم الْمَسِيحُ عليه السلام الْحَوَارِيِّينَ أَنَّ يَهُوذَا الْإِسْخَرْيُوطِي سَيَخُونُهُ وَيُسَلِّمُهُ، وأَنَّهُ مُبَارِحٌ هَذِهِ الدُّنْيَا: «فَبَكَى حِينَئِذٍ الرَّسُلُ قَائِلِينَ: يَا مُعَلِّمُ لِمَاذَا تَتْرُكُنَا؟ أَوْلَى لَنَا أَنْ نَمُوتَ مِنْ أَنْ تَتْرُكَنَا، أَجَابَ يَسُوعُ: لَا تَضْطَرِبَنَّ قُلُوبُكُمْ وَلَا تَجْزَعُوا؛ لِأَنِّي لَسْتُ خَالِقَكُمْ، بَلِ إِنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ يَحْمِيكُمْ. أَمَّا عَنِّي أنا فَلَقَدْ أَتَيْتُ إِلَى الدُّنْيَا لِأُهَيِّئَ الطَّرِيقَ لِرَسُولِ اللهِ الَّذِي سَيَأْتِي بِخَلَاصٍ لِلْعَالَمِينَ، وَلَكِن احْذَرُوا أَنْ تُغَشُّوا؛ لِأَنَّهُ سَيَأْتِي أَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ كَثِيرُونَ يَنْتَحِلُونَ كَلَامِي وَيُفْسِدُونَ إِنْجِيلِي. حِينَئِذٍ قَالَ أَنْدَرَاوُسْ: يَا مُعَلِّمُ، اذْكُرْ لَنَا عَلَامَةً حَتَّى نَعْرِفَهُ. أَجَابَ يَسُوعُ: إِنَّهُ لَا يَأْتِي فِي زَمَانِكُمْ، بَلْ يَأْتِي بَعْدَكُمْ بِسِنِينَ عَدِيدَةٍ حِينَمَا يُبْطَلُ إِنْجِيلِي، حَتَّى إِنَّهُ لَا يَكَادُ يُوجَدُ

1- قارن هذا بإنجيل مرقس 1: 6-8 ونصه: «وَكَانَ يُوحَنَّا يَلْبَسُ وَبَرَ الإِبِلِ، وَمِنْطَقَةً مِنْ جِلْدٍ عَلَى حَقْوَيْهِ، وَيَأْكُلُ جَرَادًا وَعَسَلاً بَرِّيًّا، وَكَانَ يَكْرِزُ قَائِلاً: «يَأْتِي بَعْدِي مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَنْحَنِيَ وَأَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ، أَنَا عَمَّدْتُكُمْ بِالْمَاءِ، وَأَمَّا هُوَ فَسَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ». فهذا يوازي هذا إزائيا. وفي إنجيل يوحنا 1: 19-28 ما نصه: «وَهذِهِ هِيَ شَهَادَةُ يُوحَنَّا، حِينَ أَرْسَلَ الْيَهُودُ مِنْ أُورُشَلِيمَ كَهَنَةً وَلاَوِيِّينَ لِيَسْأَلُوهُ: «مَنْ أَنْتَ؟» فَاعْتَرَفَ وَلَمْ يُنْكِرْ، وَأَقَرَّ: «إِنِّي لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحَ» فَسَأَلُوهُ: «إِذًا مَاذَا؟ إِيلِيَّا أَنْتَ؟» فَقَالَ: «لَسْتُ أَنَا» «أَلنَّبِيُّ أَنْتَ؟» فَأَجَابَ: «لاَ». فَقَالُوا لَهُ: «مَنْ أَنْتَ، لِنُعْطِيَ جَوَابًا لِلَّذِينَ أَرْسَلُونَا؟ مَاذَا تَقُولُ عَنْ نَفْسِكَ؟» قَالَ: «أَنَا صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: قَوِّمُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، كَمَا قَالَ إِشَعْيَاءُ النَّبِيُّ» وَكَانَ الْمُرْسَلُونَ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ، فَسَأَلُوهُ وَقَالُوا لَهُ: «فَمَا بَالُكَ تُعَمِّدُ إِنْ كُنْتَ لَسْتَ الْمَسِيحَ، وَلاَ إِيلِيَّا، وَلاَ النَّبِيَّ؟» أَجَابَهُمْ يُوحَنَّا قَائِلاً: «أَنَا أُعَمِّدُ بِمَاءٍ، وَلكِنْ فِي وَسْطِكُمْ قَائِمٌ الَّذِي لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ هُوَ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي، الَّذِي صَارَ قُدَّامِي، الَّذِي لَسْتُ بِمُسْتَحِقّ أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ» هذَا كَانَ فِي بَيْتِ عَبْرَةَ فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ حَيْثُ كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ. ص 273 من كتاب الجمعية.

2- بَارْنَابَا، الفصل: 44. ص177-179.

ثَلَاثُونَ مُؤْمِنًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، يَرْحَمُ اللهُ الْعَالمين فَيُرْسِلُ رَسُولَهُ الَّذِي تُظَلِّلُ رَأْسَهُ غَمَامَةٌ بَيْضَاءُ، يَعْرِفُهُ مِنْهَا أَحَدُ مُخْتَارِي اللهِ الْأَبْرَارِ فَيُظْهِرُهُ هُوَ لِلْمُخَالِفِينَ، وَيَأْتِي بِسُلْطَانٍ عَظِيمٍ عَلَى الْفُجَّارِ، وَيُبِيدُ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ مِن وَجْهِ الْأَرْضِ، وَإِنِّي بِذَلِكَ لَأَبْتَهِجُ؛ لِأَنَّهُ عَلَى يَدَيْهِ يُدْعَى إِلَى اللهِ وَيُشْهَدُ عَلَيْهِ وَيُمَجَّدُ، وَيَظْهَرُ بذلك صدقي، وَسَيَنْتَقِمُ مِنَ الَّذِينَ يَقُولُونَ إِنِّيَ أَكْثَرُ مِنْ إِنْسَانٍ. الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الْقَمَرَ يَرْعَى رُقَادَهُ فِي صِبَاهُ، وَمَتَى شَبَّ وَكَبُرَ يَأْخُذُ [الْقَمَرَ] بِكَفَّيْهِ، فَلْيَحْذَرِ الْعَالَمُ أَنْ يَنْبِذَهُ؛ لِأَنَّهُ يَفْتِكُ بِعَبَدَةِ الْأَصْنَامِ، فَإِنَّ مُوسَى عَبْدَ اللهِ قَتَلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ، وَكَذَلِكَ يَشُوعُ الَّذِي لَمْ يُبْقِ عَلَى الْمُدُنِ، بَلْ أَحْرَقُوهَا وَقَتَلُوا الْأَطْفَالَ؛ لِأَنَّ الْقُرْحَةَ الْمُزْمِنَةَ إِنَّمَا يَلْزَمُهَا الْكَيُّ. وَيَجِيءُ بِحَقٍّ أَشَدَّ جَلَاءً مِنْ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ، وَيُؤَنِّبُ مَنْ لَا يُحْسِنُ مَعَاشَهُ فِي الدُّنْيَا، وَتَتْرَى أَبْرَاجُ مَدِينَةِ آبَائِنَا يُحَيِّي بَعْضُهَا بَعْضًا طَرَبًا وحُبُورًا، فَمَتَى شُوهِدَتْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ تَهْوِي إِلَى الْأَرْضِ وَتَمَّ الاعْتِرَافُ بِيَ عَلَى أَنِّي إِنْسَانٌ كَسَائِرِ الْبَشَرِ، فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ يَكُونُ حِينَئِذٍ قَدْ أتى»[1]. وهذا يتفق مع كل ما قام محمد ﷺ من تحطيم الأصنام التي كانت حول الكعبة وعددها 360 صنما[2]، وإبادةِ عبادتها من وجه الأرض، وجاء بآيات بينات تبين صدق رسالته، كما تم الاعتراف بكون عيسى إنسانا وليس بإله وليس بابن الله.

وفي الفصل الحادي والتسعين بعد المئة يبين إنجيل بَارْنَابَا أن إسماعيل هو والد المشيح، وأن إسحاق هو والد رسول يبشر بالمشيح: «عِنْدَهَا قَالَ الْكَاتِبُ: لَقَدْ رَأَيْتُ كِتَابًا عَتِيقًا مَكْتُوباً بِيَدِ مُوسَى وَيَشُوعَ -الَّذِي أَوْقَفَ الشَّمْسَ كَمَا فَعَلْتَ- عَبْدَيِ اللهِ وَنَبِيَّيْهِ، وَهُوَ كِتَابُ مُوسَى الْحَقِيقِيّ، فَفِيهِ مَكْتُوبٌ أَنَّ إِسْمَاعِيلَ هُوَ وَالِدُ الْمَشِيحِ، وَإِسْحَقُ وَالِدُ رَسُولِ الْمَشِيحِ، وَهَذَا مَا يَقُولُ الْكِتَابُ؛ بِأَنَّ مُوسَى قَالَ: أَيُّهَا الرَّبُّ، إِلَهُ إِسْرَائِيلَ الْقَدِيرُ الرَّحِيمُ، أَظْهِرْ لِعَبْدِكَ سَنَاءَ مَجْدِكَ، فَعِنْدَهَا أَرَاهُ اللهُ رَسُولَهُ بَيْنَ ذِرَاعَيْ إِسْمَاعِيلَ، وَإِسْمَاعِيلَ بَيْنَ ذِرَاعَيْ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ إِسْمَاعِيلَ وَقَفَ إِسْحَاقُ، وَبَيْنَ ذِرَاعَيْهِ طِفْلٌ يُشِيرُ بِأَصْبُعِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ قَائِلًا: هَذَا هُوَ الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقَ اللهُ كُلَّ شَيْءٍ، فَعِنْدَهَا صَاحَ مُوسَى جَذِلًا: يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ فِي ذِرَاعَيْكَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَالْجَنَّةُ، اذْكُرْنِي أَنَا عَبْدُ اللهِ؛ لِكَيْ أَجِدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيِ اللهِ بِوَاسِطَةِ ابْنِكَ الَّذِي لِأَجْلِهِ صَنَعَ اللهُ كُلَّ شَيْءٍ»[3].

ومع التنبيه على أن الله قد خلق الجن والإنس ليعبدوه، لا من أجل محمد ﷺ، قال -تعالى-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]- ففي هذه الفقرة نبوءة من أهم النبوءات التي وردت في كتاب موسى، وهي تستند على رؤية نبوية أراها الله لموسى عليه السلام، وهي أن النبي محمدا ﷺ هو الموعود بالرسالة الكونية

1- بَارْنَابَا، الفصل: 72، ص227، 228.
2- ينظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، 225/2.
3- بَارْنَابَا، الفصل: 191، ص 436، 437.

العالمية الخاتمة. وفي الفقرة نفسها يصف المسيح عليه السلام روح موسى عليه السلام برؤياه التي منحه الله إياها عن مستقبل بعيد هو مستقبل بعثة رسول الله محمد ﷺ، وما بين موسى ومحمد فترة طويلة من الزمن، لكن الله -سبحانه- منح الأنبياء -وخاصة أولى العزم منهم- رؤية نبوية غيبية تمتد إلى آخر حياة البشر على الأرض، بل تتجاوزها لتتحدث عن اليوم الآخر بقدرة الله وعلمه.

وفي الفصل السادس والتسعين وفي مُحَاوَرَةٍ بَيْنَ الْمَسِيحِ عليه السلام وَرَئِيسِ كَهَنَةِ الْيَهُودِ بحضور جمع غفير من اليهود والرومان أَنَّ الْكَاهِنَ سَأَلَهُ عَنْ نَفْسِهِ فَأَجَابَ بِذِكْرِ اسْمِهِ وَاسْمِ أُمِّهِ، وَبِأَنَّهُ بَشَرٌ سَيَمُوتُ، وأنه ليس النبي الْمُنْتَظَر آخر الزمان، ما نصه: «قَالَ الْكَاهِنُ: بِصَوْتٍ عَالٍ: «مَهْلًا يَا يَسُوعُ، لِأَنَّنَا نَحْتَاجُ أَنْ نَعْرِفَ مَنْ أَنْتَ؟ لِتَسْكِينِ أُمَّتِنَا. أَجَابَ يسوع: أَنَا يَسُوعُ بْنُ مَرْيَمَ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ، بَشَرٌ فَانٍ وَيَتَّقِي اللهَ، وَأَطْلُبُ أَنْ يُعْطَى اللَّهُ الْإِجْلَالَ وَالْمَجْدَ» أَجَابَ الْكَاهِنُ: فِي سِفْرِ مُوسَى مَكْتُوبٌ أَنَّ إِلَهَنَا مُرْسِلٌ إِلَيْنَا الْمَسِيَّحَ الَّذِي يَأْتِي لِيُنْبِئَنَا بِمشيئة الله، وَيَأْتِي لِلْعَالَمِ بِرَحْمَةِ اللهِ؛ لِذَلِكَ أَرْجُوكَ أَنْ تَقُولَ لَنَا الْحَقَّ أَأَنْتَ مَسِيَّحُ اللهِ الَّذِي نَنْتَظِرُهُ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: حَقًّا إِنَّ اللهَ وَعَدَ كَذَلك وَلَكِنِّي بالحق لَسْتُ هُوَ، إذ أَنَّهُ خُلِقَ قَبْلِي وَسَيَأْتِي بَعْدِي. أَجَابَ الْكَاهِنُ: مِنْ كَلَامِكَ وَآيَاتِكَ عَلَى أَيِّ حَالٍ نَعْتَقِدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ وَقُدُّوسُ اللهِ؛ لِذَلِكَ أَرْجُوكَ بِاسْمِ الْيَهُودِيَّةِ كُلِّهَا وَإِسْرَائِيلَ بِأَنْ تُنبئنا -حُبًّا بِاللهِ- عَلَى أَيِّ نَحْوٍ سَيَأْتِي الْمَسِيَّحَ؟ أَجَابَ يَسُوعُ: بِاللهِ الْحَيِّ الَّذِي فِي حَضْرَتِهِ نَفْسِي تَقِفُ إِنِّي لَسْتُ الْمَسِيَّحَ الَّذِي تَنْتَظِرُهُ قَبَائِلُ الْأَرْضِ كُلِّهَا كَمَا وَعَدَ اللهُ أَبَانَا إِبْرَاهِيمَ قَائِلًا: بِنَسْلِكَ أُبَارِكُ كُلَّ قَبَائِلِ الْأَرْضِ. وَلَكِنْ عِنْدَمَا يَأْخُذُنِي اللهُ مِنَ الْعَالَمِ فإنَّ الشَّيْطَانُ سَوف يُثِيرُ مَرَّةً أُخْرَى هَذِهِ الْفِتْنَةَ الْمَلْعُونَةَ بِأَنْ يَحُثَّ مَنْ لَا تقْوَى لَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ بِأَنِّي اللهُ وَابْنُ اللهِ فَيَتَدَنَّسَ بِسَبَبِ هَذَا كَلَامِي وَتَعالِيمِي حَتَّى يَكَادَ لَا يَبْقَى غَيْرُ ثَلَاثِينَ مُؤْمِنًا، عِنْدَئِذٍ يَرْحَمُ اللهُ الْعَالَمَ، فَيُرْسِلُ رَسُولَهُ الَّذِي خَلَقَ مِنْ أَجْلِهِ كُلَّ شَيْءٍ، وَالَّذِي يَأْتِي مِنَ الْجَنُوبِ بِقُوَّةٍ، وَيُبِيدُ الْأَصْنَامَ، وَعُبَّادَ الْأَصْنَامِ، وَيَنْتَزِعُ مِنَ الشَّيْطَانِ سُلْطَتَهُ عَلَى الْبَشَرِ، وَهو يَأْتِي بِرَحْمَةِ الله لِخَلَاصِ الَّذِينَ سَيُؤْمِنُونَ بِهِ، فبورك مَنْ يُؤْمِنُ بِكَلَامِهِ»[1]. فهذا النص يبين أن الكاهن اليهودي قال ليسوع: إنه مكتوب في كتاب موسى -أي التوراة- أن الله سيرسل رسولا يكون رحمة للعالمين، لكن المسيح نفى عن نفسه أن يكون هو هذا الرسول، ثم أعطاهم بعضَ صفاته، فهو خُلِقَ قبله وسيأتي بعده، وأن قبائل الأرض تنتظره كما وعد الله -سبحانه- نبيَّه إبراهيم، وأن هذا النبي يختم النبوات والرسالات، ويرسله الله عندما ينقلب الناس على تعاليم الإنجيل الصحيح، حتى لا يبقى ثلاثون مؤمنا، وسيأتي هذا النبي من الجنوب، أي من مكة، وهي جنوب فلسطين والشام التي كان يسكنها المسيح. ومن علاماته أنه سيبيد عبادة الأصنام وعبدتها، وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر، ويكون رحمة للعالمين، وكل من يتبعه يباركه الله، وكل من يقف ضده يلعنه الله. ثم يقول: إن دينه سيعم العالم، وإن الله سيحفظ دينه صحيحا إلى

1- بَارْنَابَا، الفصل: 96، ص 272، 273.

الأبد. ثم يقول بَارْنَابَا على لسان المسيح إن اسم هذا الرسول الذي يأتي بعده محمد ﷺ، وهو اسم عجيب؛ لأن الله سماه به، ونحن نعرف أنه لم يكن يعرف العرب اسما بهذا الاسم، فهو أول اسم يطلق على شخص من العرب. وقد وردت روايات عديدة تشير إلى أن الله هو الذي اختار اسم محمد؛ ليطلقه على الرسول ﷺ، وأنه سيحفظ دينه، يتطابق مع قوله -تعالى-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، فالتوراة والإنجيل حُرِّفَا، وحَفِظَ اللهُ القرآن من التحريف والدس، وسيبقى خالدا إلى يوم الدين، ولا يكون لدين الإسلام نهاية؛ لأنه سيعم العالم كله، وهذا ما نشهد بوادره اليوم.

وفي الفصل السابع والتسعين، وبعد أن أشيع بين الناس أن المسيح هو الله، أو ابن الله، يصرح المسيح بأنه لم يقل عن نفسه إنه إله، أو ابن الإله، وأن الكاهن سوف يرسل رسالة إلى مجلس الشيوخ الروماني بإصدار أمر ينص على عدم دعوة المسيح فيما بعد بأنه: الله، أو ابن الله. يروي بَارْنَابَا عن المسيح: «وَمَعَ أَنِّي لَسْتُ مُسْتَحِقًّا أَنْ أَحُلَّ سَيْرَ نَعْلِهِ فَلَقَدْ نِلْتُ نِعْمَةً وَرَحْمَةً مِنَ اللهِ لِأَرَاهُ. فَحِينَئِذٍ أَجَابَ الْكَاهِنُ مَعَ الْحَاكِمِ وَالْمَلِكِ قَائِلِينَ: لَا تُضْمِرَنَّ فِي نَفْسَكَ أَيَّ أَمَى يَا يَسُوعُ، قُدُّوسَ اللهِ؛ لِأَنَّهُ فِي عَهْدِنَا لَنْ تَقُومَ لِهَذِهِ الْفِتْنَةَ قَائِمَةٌ مَرَّةً أُخْرَى؛ ذَلِكَ بِأَنَّنَا سَنَكْتُبُ إِلَى مَجْلِسِ الشُّيُوخِ الرُّومَانِيِّ الْمُقَدَّسِ بِحَيْثُ إِنَّهُ بِموجِبِ مَرْسُومٍ إِمْبَرَاطُورِي[1] لَا يَدْعُوَنَّكَ أَحَدٌ فِيمَا بَعْدُ: اللهَ، أَوِ ابْنَ اللهِ، فَقَالَ يَسُوعُ: إِنَّ كَلَامَكُمْ هَذَا لَا يُعَزِّينِي؛ لِأَنَّهُ حَيْثُ تَرْجُونَ نُورًا سَيَأْتِي ظَلَامٌ، لَكِنَّ عَزَائِي هُوَ فِي مَجِيءِ الرَّسُولِ الَّذِي يُبِيدُ كُلَّ رَأْيٍ بَاطِلٍ عَنِّي، وَيَنْتَشِرُ دِينُهُ وَيَعُمُّ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا؛ لِأَنَّهُ هَكَذَا وَعَدَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ أَبَانَا، وَإِنَّ مَا يُعَزِّينِي هُوَ أَنَّ دِينَهُ لَا يَكُونُ لَهُ نِهَايَةٌ بَلْ يَحْفَظُهُ اللهُ تَامًّا مُبَرَّأً. أَجَابَ الْكَاهِنُ: فَبَعْدَ مَجِيءِ رَسُولِ اللهِ يَأْتِي أَنْبِيَاءُ آخَرُونَ؟ أَجَابَ يَسُوعُ: لَا يَأْتِي بَعْدُ أَنْبِيَاءُ حَقِيقِيُّونَ مُرْسَلُونَ مِنَ اللهِ، وَلَكِنْ يَأْتِي عَدَدٌ غَفِيرٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ»[2].

فهذا النص يتفق مع ما ورد في القرآن من أن عيسى ليس هو الله وليس ابن الله . قال -تعالى-: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: 19]. وقال -تعالى-: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرُ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة: 30].

أما في الفقرة الآتية فقد بين بَارْنَابَا في إنجيله أن المسيح عليه السلام بَلَّغَ التبشير بمحمد ﷺ إلى جمع غفير من الناس، نافيا عن نفسه الألوهية، وكونه النبي المنتظر، بل قال إنه مَيِّتٌ فَانٍ: «فَقَالَ يَسُوعُ: إِنَّ كَلَامَكُمْ هَذَا لَا

1- كانت بعثة يسوع في زمن القيصر أوجسطوس الذي كان أول إمبراطور للدولة الرومانية المقدسة يحمل لقب إمبراطور باللغة الرومانية، ولو ترجم بموجب مرسوم ملكي أو قيصري لعد ذلك خللا تاريخيا. ينظر: أحمد إيبش، ص274.

2- بَارْنَابَا، الفصل: 97، ص 273، 274.

يُعَزِّينِي؛ لِأَنَّهُ حَيْثُ تَرْجُونَ نُورًا سَيَأْتِي ظَلَامٌ، لَكِنَّ عَزَائِي هُوَ فِي مَجِيءِ الرَّسُولِ الَّذِي يُبِيدُ كُلَّ رَأْيٍ بَاطِلٍ عَنِّي، وَيَنْتَشِرُ دِينُهُ وَيَعُمُّ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا؛ لِأَنَّهُ هَكَذَا وَعَدَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ أَبَانَا، وَإِنَّ مَا يُعَزِّينِي هُوَ أَنَّ دِينَهُ لَا يَكُونُ لَهُ نِهَايَةٌ، بَلْ يَحْفَظُهُ اللهُ تَامًّا مُبَرَّأً. أَجَابَ الْكَاهِنُ: فَبَعْدَ مَجِيءِ رَسُولِ اللهِ يَأْتِي أَنْبِيَاءُ آخَرُونَ؟ أَجَابَ يَسُوعُ: لَا يَأْتِي بَعْدُ أَنْبِيَاءُ حَقِيقِيُّونَ مُرْسَلُونَ مِنَ اللهِ، وَلَكِنْ يَأْتِي عَدَدٌ غَفِيرٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ، وَهذا مَا يغمّني؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يُقِيمُهُمْ بِفِعْلِ حُكْمِ اللهِ الْعَادِلِ، فَيَتَسَتَّرُونَ بِدَعْوَى إِنْجِيلِي. أَجَابَ هِيرُود: فَكَيْفَ يَكُونُ حُكْمًا عَادِلًا مِنَ اللهِ أَنْ يَأْتِيَ مِثْلُ هَؤُلَاءِ الْخُبَثَاءِ؟ أَجَابَ يَسُوعُ: مِنَ الْعَدْلِ أَنَّ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْحَقِّ لِخَلَاصِهِ لَابُدَّ أَنْ يُؤْمِنَ بِالْكَذِبِ لِلَعْنَتِهِ؛ فَلِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الْعَالَمَ كَانَ عَلَى الدَّوَامِ يَمْتَهِنُ الْأَنْبِيَاءَ الْحَقِيقِيِّينَ وَيُحِبُّ الْمُزَيَّفِينَ كَمَا يُرَى فِي أَيَّامِ مِيشَعَ وَأَرْمِيَاءَ؛ لِأَنَّ كُلَّ شَبِيهٍ يُحِبُّ شَبِيهَهُ. فَعِنْدَهَا قَالَ الْكَاهِنُ: مَاذَا يَكُونُ اسْمُ الْمَسِيَّحِ؟ وَمَا هِيَ الْإِشَارَةُ الَّتِي تُنْبِئُ بِمَجِيئِهِ؟ أَجَابَ يَسُوعُ: إِنَّ اسْمَ الْمَسِيَّحِ بَدِيعٌ؛ فَإِنَّ اللهَ ذَاتَهُ قَدْ سَمَّاهُ بِهِ لَمَّا خَلَقَ نَفْسَهُ وَأَوْدَعَهَا فِي بَهَاءٍ سَمَاوِيٍّ قَالَ اللهُ: «صَبْرًا يَا مُحَمَّدُ، فَإِنِّي لِأَجْلِكَ أَشَاءُ أَنْ أَخْلُقَ الْجَنَّةَ وَالدُّنْيَا وَجَمًّا غَفِيرًا مِنَ الْخَلَائِقِ الَّتِي أَهَبُهَا لَكَ، حَتَّى إِنَّ مَنْ يُبَارِكُكَ يَكُونُ مُبَارَكًا، وَمَنْ يَلْعَنُكَ يَكُونُ مَلْعُونًا؛ فَمَتَى بَعَثْتُكَ إِلَى الدُّنْيَا فَإِنِّي بَاعِثُكَ رَسُولًا لِي لِلْخَلَاصِ، وَتَكُونُ كَلِمَتُكَ صَادِقَةً، حَتَّى إِنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ تَهِنَانِ، أَمَّا إِيمَانُكَ فَلَا يَهِنُ أَبَدًا، إِنَّ اسْمَهُ الْمُبَارَكَ مُحَمَّدٌ». حِينَئِذٍ صَدَحَ الْجُمْهُورُ بِأَصْوَاتِهِمْ قَائِلِينَ: «يَا اللهُ، أَرْسِلْ إِلَيْنَا رَسُولَكَ، يَا مُحَمَّدُ عَجِّلْ بِالْمَجِيءِ لِخَلَاصِ الْعَالَمِ»[1]. وهذا يتفق مع قوله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: 157]، وقوله -تعالى-: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: 113].

وفي الفصل الثامن بعد المئتين عندما كان اليهود يهُمُّون برجم يسوع يروي بَارْنَابَا حوارا دار بين المسيح عليه السلام ورئيس كهنة اليهود جاء فيه: «لَوْ كُنْتُ فَاعِلًا لِلدَّنَايَا أَنِّبوني وَاللهُ يُحِبُّكُمْ لِأَنَّكُمْ تَكُونُونَ عَامِلِينَ بِمَشِيئَتِهِ، وَلَكِنْ إِذَا تَوَانَى الْجَمِيعُ عَنْ تَأْنِيبِي عَلَى مَعْصِيَةٍ فَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّكُمْ لَسْتُمْ أَبْنَاءَ إِبْرَاهِيمَ كَمَا تَدْعُونَ أَنْفُسَكُمْ، وَلَا أَنْتُمْ مُؤْتَلِفُونَ بِذَلِكَ الرَّأْسِ الَّذِي كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُؤْتَلِفًا بِهِ، بِاللهِ الْحَيِّ لَقَدْ أَحَبَّ إِبْرَاهِيمُ اللهَ حُبًّا جَمًّا فَلَمْ يَكْتَفِ

1- بَارْنَابَا، الفصل: 97، ص274-277.

بِتَحْطِيمِ الْأَصْنَامِ الْبَاطِلَةِ بَدَدًا، وَلَا بِهَجْرِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، بَلْ لَقَدْ هَمَّ بِأَنْ يَذْبَحَ ابْنَهُ صُدُوعًا بِأَمْرِ اللَّهِ. أَجَابَ الْكَاهِنُ الْأَكْبَرُ: إِنَّمَا أَسْأَلُكَ هَذَا وَلَسْتُ أَبْتَغِي قَتْلَكَ، فَقُلْ لَنَا: مَنْ كَانَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ هَذَا؟ أَجَابَ يَسُوعُ: إِنَّ الْغَيْرَةَ عَلَى شَرَفِكَ يَا اللهُ تُلْهِبُ نَفْسِي، وَلَا أَقْدِرُ أَنْ أَصْمُتَ، الْحَقَّ أَقُولُ: إِنَّ ابْنَ إِبرَاهِيمَ لَهُوَ إِسْمَاعِيلُ، الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَخْرُجَ مِنْ نَسْلِهِ الْمَسِيَّحُ الْمَوْعُودُ بِهِ إِبْرَاهِيم، بِأَنَّ بِهِ تَتَبَارَكُ قَبَائِلُ الْأَرْضِ جَمِيعُهَا. فَعِنْدَهَا حَنِقَ الْكَاهِنُ الْأَكْبَرُ لَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ وَصَاحَ: لِنَرْجُمْ هَذَا الْكَافِرَ؛ فَهُوَ إِسْمَاعِيلِي، وَقَدْ جَدَّفَ عَلَى مُوسَى، وَعَلَى شَرِيعَةِ اللهِ»[1].

المطلب الثاني: عدم فهم تلاميذ عيسى لنبوءاته

انبهر كُتَّابُ الأناجيل بالنبوءات التوراتية، نتيجة محبتهم للمسيح، أو امتهانهم للتحريف، فعَمَدُوا في تَكَلُّفٍ ظاهر إلى تحريف معاني كثير من النصوص التوراتية؛ ليجعلوا منها نبوءات عن المسيح عيسى، مما جعلهم يخطئون في فهم كثير من النبوءات التي تحدثت عن الْمَسِيَّا الْمُنْتَظَرِ.

ومن صور ذلك أنه جاء في المزامير عن النبي القادم: «قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ»[2]، وهذه البشارة بنبوءة المسيح المنتظر لا يراد منها المسيح ابن مريم بحال من الأحوال.

وقد أخطأ بطرس حين فسرها بذلك، فقال: «لأَنَّ دَاوُدَ لَمْ يَصْعَدْ إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَهُوَ نَفْسُهُ يَقُولُ: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ. فَلْيَعْلَمْ يَقِينًا جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ يَسُوعَ هذَا، الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ، رَبًّا وَمَسِيحًا»[3].

ودليل الخطأ في فهم بطرس -وكذا فهم النصارى معه- أن المسيح عليه السلام أنكر أن يكون هو المسيح الموعود على لسان داود: «وَفِيمَا كَانَ الْفَرِّيسِيُّونَ مُجْتَمِعِينَ سَأَلَهُمْ يَسُوعُ قَائِلاً: مَاذَا تَظُنُّونَ فِي الْمَسِيحِ؟ ابْنُ مَنْ هُوَ؟ قَالُوا لَهُ: ابْنُ دَاوُدَ. قَالَ لَهُمْ: فَكَيْفَ يَدْعُوهُ دَاوُدُ بِالرُّوحِ رَبًّا؟ قَائِلاً: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ. فَإِنْ كَانَ دَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبًّا، فَكَيْفَ يَكُونُ ابْنَهُ؟ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يُجِيبَهُ بِكَلِمَةٍ. وَمِنْ ذلِكَ الْيَوْمِ لَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ أَنْ يَسْأَلَهُ بَتَّةً»[4].

لقد كان جواب يسوع في النص السابق مسكتاً لكل مُدَّعٍ أنه المسيح المنتظر؛ فقد أثبت أن القادم ليس من ذرية داود، بدليل أن داود جعله سيده، والأب لا يقول ذلك عن ابنه.

1- بَارْنَابَا: الفصل: 208، ص 460.
2- المزمور: 1/110.
3- أعمال: 2/34-36.
4- متّى: 22/41-46.

فيسوع عليه السلام سأل اليهود عن المسيح المنتظر الذي بَشَّرَ به داود وغيرُه من الأنبياء بقوله: مَاذَا تَظُنُّونَ فِي الْمَسِيحِ؟ ابْنُ مَنْ هُوَ؟ فأجابوه: ابْنُ دَاوُدَ. فَخَطَّأَهُمْ وقال: فَإِنْ كَانَ دَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبًّا، فَكَيْفَ يَكُونُ ابْنَهُ؟ فالمسيح القادم ليس من أبناء داود الذي وصفه بقوله: ربي أو سيدي.

وفي مرقس: إن المسيح عليه السلام قال: «كَيْفَ يَقُولُ الْكَتَبَةُ إِنَّ الْمَسِيحَ ابْنُ دَاوُدَ؟ لأَنَّ دَاوُدَ نَفْسَهُ قَالَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي، حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ. فَدَاوُدُ نَفْسُهُ يَدْعُوهُ رَبًّا. فَمِنْ أَيْنَ هُوَ ابْنُهُ؟»[1]. وهو ما ذكره لوقا أيضاً: «وَقَالَ لَهُمْ: كَيْفَ يَقُولُونَ إِنَّ الْمَسِيحَ ابْنُ دَاوُدَ؟ وَدَاوُدُ نَفْسُهُ يَقُولُ فِي كِتَابِ الْمَزَامِيرِ: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ. فَإِذًا دَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبًّا، فَكَيْفَ يَكُونُ ابْنَهُ؟»[2]، ورغم هذا البيان يصر النصارى إلى يومنا هذا أن المسيح عيسى عليه السلام هو من بَشَّرَ به داود في نبوءته، مع قولهم بأنه ابن داود.

وفي السياق نفسه جاء في سفر أخبار الأيام الأول أن اسم صاحب النبوءة يكون سليمان، فقد قال لداود: «هُوَذَا يُولَدُ لَكَ ابْنٌ يَكُونُ صَاحِبَ رَاحَةٍ، وَأُرِيحُهُ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِهِ حَوَالَيْهِ؛ لأَنَّ اسْمَهُ يَكُونُ سُلَيْمَانَ. فَأَجْعَلُ سَلاَمًا وَسَكِينَةً فِي إِسْرَائِيلَ فِي أَيَّامِهِ. هُوَ يَبْنِي بَيْتًا لاسْمِي، وَهُوَ يَكُونُ لِي ابْنًا، وَأَنَا لَهُ أَبًا وَأُثَبِّتُ كُرْسِيَّ مُلْكِهِ عَلَى إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ»[3]. وغيرها كثير في عدم فهم التلاميذ له لا يسع المكان لذكرها كاملة هنا.

ويمكن القول بأن المسيح عليه السلام قد عانى كثيرا من سوء فهم التلاميذ لكلامه، حتى إنه إبَّانَ حياته صحح لهم مراراً كثيرا من أخطائهم في فهم النبوءات، بل وسائر الكلام؛ لأنهم عجزوا عن فهم السهل من كلامه، فأنى لهم أن يفهموا النبوءات؟ فذات مرة: «أَوْصَاهُمْ قَائِلاً: انْظُرُوا وَتَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ الْفَرِّيسِيِّينَ، وَخَمِيرِ هِيرُودُسَ. فَفَكَّرُوا قَائِلِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَيْسَ عِنْدَنَا خُبْزٌ. فَعَلِمَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ أَنْ لَيْسَ عِنْدَكُمْ خُبْزٌ؟ أَلاَ تَشْعُرُونَ بَعْدُ وَلاَ تَفْهَمُونَ؟ أَحَتَّى الآنَ قُلُوبُكُمْ غَلِيظَةٌ؟ أَلَكُمْ أَعْيُنٌ وَلاَ تُبْصِرُونَ وَلَكُمْ آذَانٌ وَلاَ تَسْمَعُونَ، وَلاَ تَذْكُرُونَ؟»[4]، كيف لا تفهمون أني ما عنيت الخبز الحقيقي بكلامي؟

1- مرقس: 12/35-37.
2- لوقا: 20/ 41-44.
3- الأيام الأول: 22/9.
4- مرقس: 8/15-18.

لقد كان التلاميذ يسيئون فهم السهل من كلامه، ثم يستنكفون عن سؤاله عما أعجم عليهم؛ من ذلك ما زعمه مُرقس حين قال: «كَانَ يُعَلِّمُ تَلاَمِيذَهُ وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ فَيَقْتُلُونَهُ. وَبَعْدَ أَنْ يُقْتَلَ يَقُومُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ. وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَفْهَمُوا الْقَوْلَ، وَخَافُوا أَنْ يَسْأَلُوهُ»[1].

ولم يقف سوء الفهم في كلام الناموس عند الناس العاديين، بل تعداه إلى أولئك المتعلمين والصفوة من اليهود؛ فها هو نيقو ديموس يسيء فهم كلام المسيح عليه السلام حين قال له: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللهِ. قَالَ لَهُ نِيقُو دِيمُوسُ: كَيْفَ يُمْكِنُ الإِنْسَانَ أَنْ يُولَدَ وَهُوَ شَيْخٌ؟ أَلَعَلَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنَ أُمِّهِ ثَانِيَةً وَيُولَدَ؟ أَجَابَ يَسُوعُ: الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ. الْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ. لاَ تَتَعَجَّبْ أَنِّي قُلْتُ لَكَ: يَنْبَغِي أَنْ تُولَدُوا مِنْ فَوْقُ. اَلرِّيحُ تَهُبُّ حَيْثُ تَشَاءُ، وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا، لكِنَّكَ لاَ تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي وَلاَ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. هكَذَا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الرُّوحِ. أَجَابَ نِيقُو دِيمُوسُ وَقَالَ لَهُ: كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هذَا؟ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ مُعَلِّمُ إِسْرَائِيلَ وَلَسْتَ تَعْلَمُ هذَا»[2].

فنيقو ديموس لم يفهم معنى الولادة الروحية الجديدة، وظن أن الولادة من فوق تقتضي أن يدخل الرجل مرة أخرى في بطن أمه، وهذا يعني أن كثيرا من كلام المسيح عليه السلام وأفعاله لم يفهم التلاميذ صلته بالنبوءات التوراتية إبان حياة المسيح، ثم ظنوا بعد رفعه أنه كان نبوءات عن المسيح، وقد غلب هذا على كثير من بني إسرائيل؛ لفرط شوقهم إلى المخلص الغالب المظفر معتقدين أنه المسيح عيسى عليه السلام: «فَكَثِيرُونَ مِنَ الْجَمْعِ لَمَّا سَمِعُوا هذَا الْكَلاَمَ قَالُوا: هذَا بِالْحَقِيقَةِ هُوَ النَّبِيُّ. آخَرُونَ قَالُوا: هذَا هُوَ الْمَسِيحُ. وَآخَرُونَ قَالُوا: أَلَعَلَّ الْمَسِيحَ مِنَ الْجَلِيلِ يَأْتِي؟ أَلَمْ يَقُلِ الْكِتَابُ: إِنَّهُ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ، وَمِنْ بَيْتِ لَحْمٍ، الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَ دَاوُدُ فِيهَا، يَأْتِي الْمَسِيحُ؟»[3].

خلاصة القول: إن المسيح قد بشّر بنبي الإسلام محمد ﷺ، وعرفه أهل الكتاب بصفاته المذكورة في كُتبهم، وصدَّقه كثير ممن حضره منهم؛ فعلى أصحاب العقول التي تَعِي أن يتأملوا في حياة ذلك النبي الخاتم، الذي شهد بنبوته كل مُنصِف من أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام الذي كان يَهوديا فأسلَم لمّا رأى وجه رسول الله ﷺ فقال: «لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَكُنْتُ فِيمَن انْجَفَلَ، فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ

1- مرقس: 9/31-32.
2- يوحنا: 3/3-10.
3- يوحنا: 7/40-42.

وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»[1].

وآمن به النجاشي ملِكُ الحبشة، وقال عن القرآن الكريم -وقد سَمِع آياتٍ من سورة مريم-: إِنَّ هَذَا -وَاللَّهِ- وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ. فقد روى أحمد في مسنده أن النَّجَاشِيُّ بَكَى «حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ -حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ-، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا -وَاللَّهِ- وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ»[2].

وشهِد كذلك بصدق نبوته هرقلُ عظيمُ الرُّوم ورئيسُ النصارى في زمانه، فإنه لما جاءه كتاب نبينا محمد ﷺ لم يَقُل: هذا غير صادق، وإنما قال لأبي سفيان -وكان أبو سفيان آنذاك مُشرِكاً-: «فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ -لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ-، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِه»[3].

وهكذا فإن ما نُسِبَتْ كتابتُه من هوامش عربية على نسخة إنجيل بَارْنَابَا إلى رجل دين مسلم في تركيا أو قبرص- إنما هو غاية في الجهل؛ لسببين:

أولهما: ركاكة اللغة وأغلاط النحو الواردة في هذه الحواشي، مما ينفي أن يكون كاتبها تركيّاً.

ثانيا: استخدام القلم اليابس في الكتابة لا يدل على أن يكون كاتبُه رجلَ دين مسلماً تركيّاً؛ فالترك قد برعوا في فنون الخط التركي أيما براعة، ووصلوا إلى نهاية الروعة والإتقان في ذلك منذ القرن السادس عشر -وهو زمن نسخ المخطوط-، ولذلك فإن الادعاءات التي جاء بها لون سديل ولورا راغ وتبعهما فيها سعادة غير مُسلَّم بها، بل يجب إعادة النظر فيها بشكل نقدي صحيح. وفي هذا السياق يرجّح الباحث ما يراه الدكتور إيبش -الذي يجيد التركية- من أن كاتب الحواشي رجل إيطالي أسلم بعدما قرأ نص إنجيل بَارْنَابَا، وكتب عليه ما كتب، بروح متعمقة في الإيمان بنبوة سيدنا محمد، وبصدقية القرآن، ولا يبتعد أن يكون ناقلا بالحرف عن الراهب مارينو[4].

1- أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (451/5)، برقم: 23835، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.
2- أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (201/1)، برقم: 1740، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.
3- أخرجه البخاري في صحيحه، باب بدء الوحي (7/1)، برقم: 7.
4- ينظر د. أحمد إيبش، مقدمة ترجمة وتحقيق إنجيل بَارْنَابَا، ص13.

خلاصة القول: إن الباحث يرى تفنيد مزاعم من يقولون ببطلان إنجيل بَارْنَابَا من حيث المبدأ، وهم عرب مسلمون: محمد شفيق غربال، وعباس محمود العقاد، وعلي عبد الواحد وافي، وإثبات بشائره بنوة محمد ﷺ في كتب الوحي السماوي قبل بعثته بقرون كثيرة.

الخاتمة: وتتضمن أهم نتائج البحث

1. بَارْنَابَا كان تلميذا حَوَارِيًّا مُعَاصِرًا للسيد المسيح، وهو صاحب الإنجيل المسمى باسمه، وليس لواحد من يهود الأندلس تنصر تم أسلم فألف الكتاب، أو مسلما أراد الطعن في الدين المسيحي، إلى ما هنالك من دعوات.
2. الاطّلاع على إنجيل بَارْنَابَا في حلته الجديدة يجعلنا نحصل على صورة جديدة للمسيح عليه السلام في كتبهم؛ فهو بشر إنسان رسول، وليس إلها، وليس ابنا لله، وأنه لم يُقتل، ولم يُصلب، ولكن أُلقي شبهه على يهوذا الأسخريوطي فأخذوه وصلبوه، ظانين أنه المسيح. وأن المسيح المنتظر الذي ورد ذكره في التوراة ليس يسوع، بل محمد ﷺ، وهذا يتفق في جملته مع في القرآن الكريم عن عيسى عليه السلام.
3. حقيقة إنجيل بَارْنَابَا كان معروفا في القديم قبل الإسلام بنحو ثلاثمائة سنة؛ فورد ذكره في كتب القرنين الثاني والثالث للميلاد، لكنه اختفى بعد ذلك، بعد أن منعت الكنيسة تداوله، وأحرقت ما وقع في يدها من نسخه، وهدّدت من يوجد عنده بأشد العقوبات؛ لأنه يقرر أن عيسى بشر رسول الله، وليس ربّا إلهًا، وأنه بشَّر بنبي يأتي من بعده اسمه أحمد.
4. ظل إنجيل بَارْنَابَا مختفيا حتى عثر على نسخة منه باللغة الإيطالية في أوائل 18م، وهي تشكل الأساس لإصداره بالإنجليزية ونشره للمرة الأولى عام 1907م، وكان أول ذكر لهذا الإنجيل عام 1717م. كما عُثر على نسخة إسبانية -وهي أقدم وثيقة- تتوافق مع ما ورد في المخطوطة المغاربية الواردة في مخطوط مكتوب في مدريد عام 1634م.
5. موقف الكنيسة -كان ولا زال- عدم الاعتراف بإنجيل بَارْنَابَا- رغم أنه الأقرب إلى القرآن الكريم-، وهي لا تعترف إلا بأربعة أناجيل فقط هي: إنجيل متَّى، وإنجيل مرقص، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا.
6. ينقسم الباحثون المحدثون حول إنجيل بَارْنَابَا إلى قسمين: قسم يشككون في صحته أصلا ويعتبرونه عملا منحولا ملفقا كاتبه راهب مسيحي أسباني اسمه مارينو، وقد كتبه بعد أن اعتنق الإسلام؛ وقسم يقبلونه ويرون أنه إنجيل بَارْنَابَا الأصلي الذي جاء به عيسى، وقد لحقه بعضٌ من التحريف، وهو الأقرب إلى القرآن الكريم، وهو ما يرجه الباحث.
7. بَشَّرَ المسيح عليه السلام بنبي الإسلام محمد ﷺ في إنجيله المسمى باسمه، في مواضع كثيرة على ما يتفق في جملته مع في القرآن الكريم عن عيسى، وأنه مبشر برسوله يأتي من بعده اسمه أحمد. ويُظهر إنجيل بَارْنَابَا عدم فهم تلاميذ عيسى -وكثير من علماء أهل الكتاب- لنبوءات عيسى عليه السلام، مما انعكس سلبا على فهم البشرية له عبر التاريخ.

8. الجديد في هذا البحث أن إنجيل بَارْنَابَا يُظهر أن المسيح إنسان نقي طاهر مُكرم، نبي مرسل، لم يُقتل ولم يُصلب بل شُبِّه لليهود بيهوذا الأسخريوطي، وهي صورة مغايرة لما هو مألوف عند المسيحيين، ندرك من خلال هذه الصورة أن المسيح هو تماما كما وصفه القرآن الكريم، ولم يكن ضد شريعة موسى، بل ضد اليهودية التي انقلبت على شريعة موسى إلى شريعة الحاخامات الشفوية التي أفرزت (التلمود) فيما بعد.

قائمة المصادروالمراجع

أوّلا: القرآن الكريم، برواية قالون عن نافع.

ثانياً: المراجع والمصادر الأخرى:

1. الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط1، 1384هـ، 1964م.
2. إنجيل بَارْنَابَا، تحقيق الدكتور أحمد إيبش، ط1، 2007م، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس.
3. البداية والنهاية، لابن كثير، تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408هـ-1988م.
4. تاج العروس، للزَّبيدي، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
5. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990م.
6. تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، ابن عراق الكناني، تح: عبدالله بن محمد الغماري، دار الكتب العلمية، ط2.
7. جريدة الأخبار المصرية 1959/10/26م.
8. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، دراسة وتحقيق: علي الألمعي، دار الفضيلة، الرياض، ط1، 1424هـ، 2004م.
9. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، لسعود بن عبد العزيز الخلف، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط4، 1425هـ، 2004م.
10. ديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون، خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408هـ- 1988م.
11. رحلة بنيامين الططيلي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 2002م.
12. رَكائزُ الإيمانِ، محمد قطب، تح: علي بن نايف الشحود، ط1، 1430هـ، 2009م.
13. سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض. ط1.
14. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، للألباني، دار المعارف، الرياض، ط1، 1412هـ، 1992م.
15. سنن أبي داود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
16. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ، 1993م.
17. صحيح البخاري، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير اليمامة بيروت، ط3، 1987م.

18. صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
19. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح: محب الدين الخطيب.
20. فتوح الشام، للواقدي، دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ،1997م.
21. الفردوس بمأثور الخطاب، الديلميّ، تح: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1406هـ، 1986م.
22. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، للشوكاني، تح: عبد الرحمن يحيى المعلمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1407هـ.
23. الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.
24. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، العجلوني، تح: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، المكتبة العصرية، ط1، 1420هـ،2000م
25. محاسن التأويل، للقاسمي، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه، بيروت، ط1، 1418هـ.
26. مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة.
27. معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، محمد دهمان، دار الفكر المعاصر ، بيروت، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1410هـ، 1990م.
28. معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار الفكر، بيروت.
29. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، دار الساقي، ط4، 1422هـ، 2001م.
30. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، السخاوي، تح: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ،1985م.
31. مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، الحطاب، دار الفكر، ط3، 1412هـ، 1992م.